دكتور جورج حبيب بباوي

موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية
www.coptology.org

# الإنسان بين اللاهوت الشرقي و اللاهوت الغربي

## دراسة في كتاب تجسُّد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي

# الإنسان
# بين
# اللاهوت الشرقي
# واللاهوت الغربي

## دراسة في كتاب تجسُّد الكلمة
## للقديس أثناسيوس الرسولي

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢٣

اسم الكتاب : الإنســان بين اللاهوت الشرقي واللاهوت الغربي
دراسة في كتاب تجسُّد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي.

المؤلف : د. جورج حبيب بباوي

الناشر : جذور للترجمة والنشر والتوزيع
١٤ ش محمود حافظ ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة.
ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

الطبعـة : الأولى ـ يناير ٢٠٢٣

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

## جدول المحتويات

صفحة


تقديم ..... ٥

**تمهيد: الإنسان؛ نقطة البدء وسبب الخلاف** ..... ٩

خلق الإنسان على صورة الله ومثاله: ..... ٩

نعمة الشركة في قوة الكلمة: ..... ١٠

دَعْمُ النعمةِ بالوصية وبالمكان ..... ١٠

**القسم الأول: خلق الإنسان على صورة الله** ..... ١١

خلق الإنسان ..... ١١

سبب التجسد ..... ١٢

ضعف طبيعة الإنسان ..... ١٢

علاقة الكلمة بالإنسان ..... ١٣

**القسم الثاني: المشكلة والحل** ..... ١٥

دخول الموت ..... ١٥

تدهور الإنسانية ..... ١٥

سيادة الموت ..... ١٥

مشكلة موت الإنسان عند الله ..... ١٦

صدق الله ..... ١٧

عجز التوبة ..... ١٧

مشكلة فساد الطبيعة الإنسانية ..... ١٧

فقدان النعمة وحاجتنا إلى الكلمة ..... ١٧
الحل: تجسُّد الكلمة ..... ١٨
**القسم الثالث: عمل الكلمة المتجسد** ..... ٢٠
أولًا: القضاء على الفساد ..... ٢٠
ثانيًا القضاء على الموت: ..... ٢٠
ثالثًا: تشبيهٌ أو مَثَل ..... ٢١
**القسم الرابع: خُلاصة تعليم القديس أثناسيوس** ..... ٢٣
أولًا: خلق الإنسان ..... ٢٣
ثانيًا: الخطية ..... ٢٤
علاقة الخطية بالموت ..... ٢٦
ثالثًا: الدَّين ..... ٣٤
عرض وتحليل أرثوذكسي ..... ٤٠
**القسم الخامس: أساسات التعليم الشرقي الأرثوذكسي** ..... ٤٥
الفصل الأول: الاتحاد الأقنومي ..... ٤٦
الفصل الثاني: طبيعة ودور الموت ..... ٥١
الفصل الثالث: علاقة القيامة بالصليب ..... ٦١
**القسم السادس: أثناسيوس الرسولي وتعليم الغرب عن الفدية** ..... ٦٦

# تقديم

ما أن قرأ الدكتور جورج كتابات الآباء، وبالتحديد كتابات القديس أثناسيوس الرسولي، إلَّا وتعلَّق قلبه به ولم يبارح هذه المنطقة في كل انتاجه العلمي، بدءًا برسالة الدكتوراه[١] وحتى آخر كتاب له[٢]، وقد حكى قصة تعرُّفِه على القديس أثناسيوس تفصيلًا في كتابه: محاضرات في تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي؛ الجزء الأول[٣]، وكيف أنه منذ اللحظة أدرك أن العودة إلى الآباء هي الخطوة الأولى في مشوار التعليم الصحيح، وأن التاريخ هو الحل. والمتتبع لإنتاج الدكتور جورج الفكري يجد أنه قد اتخذ من القديس أثناسيوس معيارًا للتعليم السليم، لذلك نجد اسم القديس أثناسيوس يدخل في الكثير من عناوين كتبه؛ القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي[٤]، وآخر بعنوان: الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص، القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة[٥]، وأيضًا: القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التعليم الشائع غير الأرثوذكسي[٦]. ولا تكاد تخلو دراسة أو مقالة أو محاضرة له من إحالةٍ إلى موضعٍ أو أكثر من كتابات القديس

---

(١) الخليقة الجديدة في المسيح يسوع، حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، الجزء الأول، جذور للنشر، القاهرة ٢٠١٤.

(٢) خطية آدم ووراثة الموت، بحث آبائي من العصر الرسولي إلى القديس ساويرس الأنطاكي، جذور للنشر، القاهرة ٢٠٢١.

(٣) محاضرات في تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي، الجزء الأول، جذور للنشر، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٣ وما بعدها.

(٤) ظهر في طبعته الأولى عام ١٩٨٥، عن أسرة القديس كيرلس عمود الدين الإكليريكية. والطبعة الثانية عن دار جذور للنشر، القاهرة ٢٠١٥.

(٥) جذور للنشر، القاهرة، فبراير ٢٠٠٧.

(٦) جذور للنشر، القاهرة، فبراير ٢٠٠٧.

أثناسيوس. وليس غريبًا -وقد احتل كتاب «تجسد الكلمة» مكانةً متميزةً لديه- أن يكتب عنه أكثر من مرة وفي مراحل مختلفة من حياته، وكأنه نبعٌ لا ينضب، لا يتركه إلَّا ليعود إليه، فمنذ أن اطَّلع الدكتور جورج عليه وهو لا يبارح ناظريه، ففي عام ١٩٧٤ كتب ثلاثة مقالات عن التجسد ومصير الإنسان، دراسة في كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي[٧]، نُشِروا في مجلة مرقس. وقد أشرنا سابقًا إلى عشر محاضرات عن الكتاب نُشِرت على الموقع، وفي جزئين في عام ٢٠١٠، وها نحن نضع بين يدي القراء الأعزاء هذه الدراسة التي نحسبها فريدةً، وإن كانت غير مكتملة. فهي فريدة لأنها تضع يديها على السبب الأساسي للخلاف بين اللاهوت الشرقي (ويمثله في حالتنا ق. أثناسيوس) واللاهوت الغربي (العصر الوسيط الأوربي)، ألا وهو نظرة كلٍّ منهما للإنسان، الذي وصفه الدكتور جورج في الدراسة بأنه نقطة البدء وسبب الخلاف بين الشرق والغرب. والدراسة غير مكتملة لأننا لم نعثر إلَّا على ٥٦ صفحة فقط من هذه الدراسة مكتوبة بخط اليد، ولا نعرف زمن كتابتها بالتحديد، وإن كان هناك دليل من داخل النص على أن الدكتور كتبها بعد أن أصدرت جامعة أكسفورد في عام ١٩٧١ الترجمة الحديثة لكتاب تجسد الكلمة التي قام بها الأستاذ *Robere W. Thomson* بعد أن تقدمت دراسات الآباء بما يكفي لحصر المصطلحات اللاهوتية، وبالتالي جاءت هذه الترجمة أقرب ما يكون إلى النص اليوناني، وأقرب ما تكون إلى التعبير عن غرض الكاتب وفهمه للتعليم الرسولي، وهي الترجمة التي اعتمد عليها الدكتور جورج في هذه الدراسة. كما أننا لا نعرف أيضًا لماذا لم يُكمِل الدكتور جورج هذه الدراسة التي نحسبها مذهلةً، إلَّا لأن تلك كانت إحدى عاداته؛ أن يبدأ دراسةً ما ثم يتركها دون إكمال لسببٍ غير معروف إلَّا له

(٧) صدرت مجمَّعة في كتيب عن دار جذور للنشر، القاهرة ٢٠٢٢.

هو شخصيًا. ونظرًا لما رأيناه من أهمية بالغة لهذه الدراسة، ونظرًا لأننا مؤتمنون على تراث الدكتور جورج المنشور وغير المنشور، المكتَمِل وغير المكتَمِل، وانطلاقًا من حق أُم الشهداء الثابت في تراث أبنائها المخلصين، رأينا أن ننشرها كما هي، علَّ الفائدة تعم بما نُشِر على الرغم من عدم اكتماله، أو يكمِّل نقصها آخرون من المخلصين لأُم الشهداء، فتكون ركيزةً وأساسًا لبناءٍ يتصاعد حتى يبلغ عنان الكتاب، إيفاءً لحق الآتين بعدنا في الاطلاع والتمتع بتراث آبائنا الرسوليين بحق.

نضع هذه الدراسة بين يدي رب المجد يسوع لتثمر ثلاثين وستين ومائة بمسرة أبيه الصالح وفعل روحه القدوس الذي له المجد والعظمة والسلطان في كنيسته من الآن وإلى الأبد آمين.

**أسرة موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية**

تذكار الملاك ميخائيل ١٢ كيهك ١٧٣٩ الموافق ٢١ ديسمبر ٢٠٢٢

تمهيد

# الإنسان؛
# نقطة البدء وسبب الخلاف

## خلق الإنسان على صورة الله ومثاله:

نقطة البدء عند جميع الآباء، وبشكلٍ خاص القديس أثناسيوس، هي عقيدة خلق الإنسان على صورة الله. يؤكد أثناسيوس ثلاث حقائق هامة جدًا عن خلق الإنسان بشكل خاص:

١- خلق الإنسان على صورة الله.

٢- شركة الإنسان في قوة الكلمة أو اللوغوس، وهي الشركة التي تجعل الإنسان عاقلًا.

٣- علاقة الله بالإنسان هي علاقة **نعمة مشابهة الإنسان لله**، وهي بالتالي لا تنبع من الناموس، وإنما من النعمة والشركة في الصورة الإلهية ذاتها، أي ربنا يسوع المسيح والتي جاءت الوصية لكي تدعِّمها لا لكي تخلقها. فالعطية والهبة لا تنشأ بقوة الشريعة وإنما تُصان بالشريعة.

وهكذا تجتمع هذه الحقائق الثلاث الجوهرية لكي تؤكد لنا أن ما هو كائن قبل السقوط هو الأساس الذي بُني عليه ما حدث أثناء السقوط وبعد السقوط. وبكلمات أخرى؛ طبيعة الإنسان قبل السقوط هي التي تكشف عن فداحة الخسارة والنكبة التي مرَّت بها البشرية، ثم هي أيضًا التي تحدد لنا اتجاه الفداء نفسه، لأن الفداء هو رد الإنسان إلى ما كان

عليه قبل السقوط ودَعمَه بنعمٍ إلهيةٍ أخرى لا تجعله يعود إلى الموت.

## نعمة الشركة في قوة الكلمة:

هذه المعالم الواضحة يسجِّلها القديس أثناسيوس الرسولي في بداية كتابه «تجسُّد الكلمة». وبعد أن يضع أساس خلق الإنسان على صورة الله يقول:

> «اللّه صالح أو بالحري هو أصلًا essentially هو مصدر كل صلاح. ولا يستطيع الصالح أن يبخل بشيء .. لذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته ربنا يسوع المسيح .. وأشفق بصورةٍ خاصةٍ على الجنس البشري لأنهم بحكم تكوينهم يعجزون عن البقاء في حالٍ واحد، لذلك أعطاهم نعمةً أخرى .. لأنه لم يخلق البشر فقط كما فعل بالكائنات الأخرى غير العاقلة .. بل خلقهم (البشر) حسب صورته وأعطاهم نصيبًا في قوة الكلمة» (تجسد الكلمة ٣: ٣-٤).

## دَعْمُ النعمةِ بالوصية وبالمكان

> «ولأن (اللّه) كان يعرف إلى أي جهةٍ يمكن أن تميل إرادة الإنسان، سبق فدعَّم النعمة المعطاه للذين خلقهم بالوصية وبالمكان، لأنه أتى بهم إلى جنته وأعطاهم الوصية» (تجسد الكلمة ٣: ٤).

**وهكذا يحدد القديس أثناسيوس طبيعة الانسان قبل السقوط:**

- الخلق على صورة الله.
- الشركة في قوة الكلمة.
- دعم النعمة بالوصية وبالمكان.

وهكذا تسبق النعمةُ الشريعةَ، ولا تأخذ من الشريعة بدايتها ولا غايتها ولا قوتها، لأنها نعمة شركة، والشركة عطية محبة وصلاح.

القسم الأول

# خلق الإنسان على صورة الله

## كما قدَّمه القديس أثناسيوس في كتاب تجسُّد الكلمة

### خلق الإنسان

«اللّٰه صالح أو بالحري هو مصدر الصلاح والصالح لا يبخل بشيء (لا يحسد أحدًا على أي شيء) ولا يضنُّ بالوجود على شيء، خلق كل شيء من العدم بكلمته ربنا يسوع المسيح. ومن ضمن المخلوقات التي على الأرض التي أشفق عليها بشكلٍ خاص؛ الجنس البشري، لأنه رأى أنه بطبيعة تكوينهم (حرفيًا بسبب كيانهم المحدد) يعجزون عن البقاء إلى الأبد، فأعطاهم نعمةً مضافةً، لأنه لم يكتفِ بخلق البشر مثل كل الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلقهم حسب صورته وأعطاهم نصيبًا في قوة كلمته، حتى أنهم وقد صاروا ظلًّا للكلمة وصاروا عاقلين يمكن أن يبقوا في حياة حقيقية مستمتعين بالغبطة في الفردوس ... ولكن لأنه كان يعلم أن إرادة الإنسان الحرة يمكن أن تميل إلى اتجاهين، دعَّم أولًا النعمة التي أُعطيت لهم بأن أعطاهم ناموسًا ومكانًا لأنه أتى بهم إلى الفردوس وأعطاهم الناموس، حتى إذا احتفظوا بالنعمة وظلوا صالحين، سوف يتمتعون بالحياة في الفردوس، دون حزن أو ألم أو قلق، وبالإضافة إلى ذلك ينالون وعد Promise عدم الفساد في السماء. ولكن إذا تعدُّوا وارتدُّوا عن الوصية وصاروا أشرارًا، فسوف يعلمون

أنهم لن يعيشوا بعد في الفردوس بل يموتون خارج الفردوس ويبقون في الموت والفساد».

هذا ما أشارت اليه الأسفار الإلهية بكلمات الله ...لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت (تك ٢: ١٦-١٧). و«تموت» ماذا تعني؟ ليس فقط الموت، بل البقاء في فساد الموت» (تجسد الكلمة ٣: ٣ – ٤، ترجمة R. Thomson ص ١٤١ - ١٤٣).

## سبب التجسد

«وربما تتعجب؛ لماذا ونحن نريد أن نتحدث عن تجسد الكلمة ندرس بداية الجنس البشري؟ ولكن هذا مناسب لغايتنا ولشرحنا، إذ يجب علينا ونحن نتكلم عن ظهور المخلص أن نتكلم عن بداية الجنس البشري، لكي تعلم أن حالتنا كانت هي سبب مجيئه، وأن تعدينا هو الذي استدعى محبة الكلمة للبشر، ولذلك جاء الرب إلينا وظَهَرَ بين البشر. لأننا نحن سبب تجسده وخلاصنا هو الذي استدعى محبته للبشر حتى أنه وُلِدَ وظَهَرَ في الجسد» (تجسد الكلمة ٤: ١ - ٣).

## ضعف طبيعة الإنسان

«خلق الله الإنسانَ وأراد أن يبقى في عدم فساد. ولكن عندما رفض البشر وابتعدوا عن إدراكهم لله وفكَّروا واخترعوا لأنفسهم الشرور .. نالوا حكم الموت الذي سبق تهديدهم به، ولم يظلوا كما خُلقوا، وإنما كما أرادوا فَسَدوا (تحولوا عن الحالة التي خلقوا عليها إلى الحالة التي أرادوها). وغلبهم الموتُ وساد عليهم، لأن تعدِّي الوصيةَ أعادهم إلى ما هو طبيعي، حتى أنهم كما جاءوا إلى الوجود من العدم، كذلك يجب أن يعودوا -بمرور الوقت- إلى الفساد والعدم. وطالما أنه لديهم

طبيعة غير قادرة على البقاء إلى الأبد، لأنهم دُعُوا إلى الوجود من العدم بواسطة قوة الكلمة ومحبته للبشر، صار (من الضروري) أن البشر الذين فقدوا معرفتهم (فهمهم) للّه وارتدُّوا إلى ما لا وجود له -لأن ما هو شرير هو غير موجود، وما هو خير هو موجود، لأنه مخلوق بواسطة اللّه الكائن- هكذا فقدوا الوجود الأبدي. وهذا يعني أنهم عندما يموتون يبقون في الفساد والموت، لأن الإنسان بالطبيعة ميتُ (فانٍ) لأنه خُلِقَ من العدم، ولكن بسبب صورة اللّه (شَبَهَهُ) الكائن، يبقى كائنًا إذا ظلَّ يتأمل اللّه، ويكسر فساده الطبيعي ويبقى في عدم فساد كما يقول سفر الحكمة: حفظ الشرائع تحقق عدم البلى (٦: ١٨). وإذا ظلَّ بلا فساد استطاع أن يعيش مثل اللّه have lived as God كما يقول الكتاب المقدس» (مزمور ٨١: ٦-٧) (تجسد الكلمة ٤: ٤ - ٦، المرجع السابق، ص ١٤٣ - ١٤٥).

## علاقة الكلمة بالإنسان

«لم يكتفِ اللّه بأن يخلقنا فقط بل وهبنا **بنعمة الكلمة** أن نحيا حياةً إلهيةً. أمَّا البشر وقد ابتعدوا عن الأمور الأبدية بمشورة الشيطان تحولوا turning forward إلى الأشياء الفاسدة، فصاروا هم سبب فساد الموت. لأنهم - كما قلت سابقًا - فاسدون بالطبيعة، ولكن **بنعمة اشتراكهم في الكلمة** كانوا يستطيعون الهرب من نتائج طبيعتهم (الابتعاد عما يمكن أن تجلبه الطبيعة الآتية من العدم) إذا ظلُّوا صالحين. لأنه بسبب الكلمة الذي فيهم، حتى فسادهم الطبيعي كان غير قادر على أن يمسَّهم كما يقول سفر الحكمة: خلق اللّه الإنسان لعدم الفساد وجعله على صورة أزليته لكن

بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم» (حك ٢ : ٢٣-٢٤)
(تجسد الكلمة ٥ : ١ - ٢ ، المرجع السابق، ص ١٤٥).

القسم الثاني

# المشكلة والحل

## كما قدَّمهما القديس أثناسيوس في كتاب تجسُّد الكلمة

### دخول الموت

«خَلَقَ اللّه الإنسان في عدم فساد وجعله صورة أبديته ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم (حكمة ٢: ٢٣-٢٤)، ولأن هذا قد حدث، ومات البشر، ساد عليهم الفساد بقوةٍ أكثر من قوة الطبيعة (الطبيعة المائتة) لأنه ازداد بسبب تهديد اللّه في حالة تعدِّي الناموس»

(تجسد الكلمة ٥: ٢، المرجع السابق، ص ١٤٥).

### تدهور الإنسانية

«لأنه في تعديهم لم يتوقف البشر عند حدٍّ معيَّنٍ، وإنما تدريجيًّا انحدروا إلى ما لا يُقاس من شرور»

(تجسد الكلمة ٥: ٣، المرجع السابق، ص ١٤٧).

### سيادة الموت

«لهذه الأسباب ساد عليهم الموت بقوةٍ أعظم، ووقف الفساد ضدهم في ثبات، وبدأ جنس البشر يهلك، والإنسان العاقل الذي خُلِقَ حسب صورة اللّه بدأ يختفي وبدأ عمل اللّه يتبدد. وحقًا -كما قلت سابقًا- **غَلَبَنا الموتُ بالناموس** لأنه كان من الصعب الإفلات من الناموس الذي أسَّسه اللّه بسبب التعدي. وما حدث من أحداث كان عقيمًا (غير معقول) absurd ولا يليق

improper لأنه من غير المعقول absurd أن اللّه بعد أن تكلم، يكذب (يصبح زائفًا)، لأنه بعد أن وضع الناموسُ أن الانسان يجب أن يموت إذا تعدَّى الوصية ولم يمُت الإنسان بعد تعدِّيه، صارت كلمة اللّه كأنها (فارغة) أو (عاطلة) لأن اللّه كان سيكون زائفًا إذا قال إننا يجب أن نموت ولم يمُت الإنسان. وبالإضافة إلى ذلك، كان لا يليق أن الذي خُلِقَ عاقلًا واشترك في كلمته، يهلك ويعود إلى العدم بالفساد. وهذا لا يليق بصلاح اللّه لأن ما جاء إلى الوجود بواسطة اللّه يفسد بسبب خداع ومشورة الشيطان وغوايته للبشر. وبشكل خاص كان لا يليق أن عمل اللّه (عمله بيديه) في البشر يصبح كلا شيء إمَّا بسبب إهمالهم أو بسبب خداع الشياطين».

(تجسد الكلمة ٦: ١ - ٦، المرجع السابق، ص ١٤٧-١٤٩).

## مشكلة موت الإنسان عند الله

«أَمَا وقد فسدت الكائنات العاقلة وبدأت الخليقة تهلك، ماذا يفعل اللّه الذي هو صالح؟ هل يسمح للفساد بأن يسود عليهم وأن يأسرهم الموت؟ وماذا كانت الحاجة إلى خلقتهم منذ البداية؟ لأنه كان يليق أن لا يُخلَقوا من أن يُخلَقوا وأن يُترَكوا عُرضةً للهلاك. لأن إهمالهم يعلن ضعف اللّه وليس صلاحه، لأنه بعد أن خَلَقَهم، ترك عمله للفساد. وإذا لم يكن قد خلقه لا يستطيع أحدٌ أن ينسب إليه الضعف، أمَّا بعد أن خلقه وجاء به إلى الوجود، كان لا يليق أن عَمَلَه يهلك أمام عيني خالقه. لذلك لم يكن **من الصواب** أن يَترُكَ الإنسانَ لكي يهلك بالفساد لأن هذا لا يليق ولا يجوز (حسب) صلاح اللّه».

(تجسد الكلمة ٦: ٧ - ١٠، المرجع السابق ص ١٤٩).

## صدق الله

«ولأن كل هذا يجب أن يحدث، كان في الجانب الآخر يقف ما هو مقبول (معقول) لدى اللّه؛ وهو أن يظهر صادقًا في تطبيق الناموس الخاص بالموت. لأنه من الجنون أن نتصوَّر أن اللّه أبو الحق يظهر كاذبًا من أجل فائدتنا، وبذلك يفقد سموه. وماذا كان يجب أن يحدث؟ أو ماذا كان يجب أن يفعل اللّه»؟

## عجز التوبة

«أيطلب اللّه التوبةَ من البشر، التوبة من التعدي؟ ربما يمكن أن يُقال هذا وأن يُقال إنه يليق باللّه لأنه إذ كان البشر قد خضعوا للفساد بالتعدي، هكذا بالتوبة يعودون إلى عدم الفساد. ولكن التوبة كانت تعجز عن أنْ ترضى ما يليق باللّه (كرامة اللّه) لأنه كان سيظلُّ غيرَ صادقٍ إذا لم نبقى تحت (سلطان) الموت. فالتوبةُ تعجز عن أن ترد عنّا نتائج (تحوُّل) الطبيعة، لأنها هي الكفُّ عن الخطايا».

## مشكلة فساد الطبيعة الإنسانية

«لو أن الأمر كان مجرد خطية لم يتبعها الفساد، لكانت التوبةُ كافيةً، ولكن التعدِّي جعل البشر سجناء الفساد الطبيعي، كما أنهم حُرِموا من نعمة الوجود حسب الصورة».

## فقدان النعمة وحاجتنا إلى الكلمة

«ماذا كان يمكن أن يحدث؟ ومَن كان يمكنه أن يرد هذه النعمة سوى كلمة اللّه الذي هو أيضًا في البدء خَلَقَ الكونَ من العدم؟ كان هذا العمل ينتظره؛ وهو أن يُعيد الفاسد إلى عدم فساد مرةً أخرى، وأن يحفظ ما يليق بالآب لأنه هو كلمة الآب الذي هو فوق الكل

(كإله)، فهو وحده القادر على أن يُعيد خلق الكون، وهو المستحق أن يتألم عن الكل، وأن يكون الوسيط (الشفيع) عن الكل لدى الآب». (تجسد الكلمة ٧: ١ - ٥، المرجع السابق، ص ١٤٩-١٥١).

## الحل: تجسُّد الكلمة

### أولا: من هو الكلمة

«لهذا السبب جاء إلى عالمنا كلمة الله غير المتجسد غير الفاسد وغير المادي. (وعندما أقول) جاء، فهو لم يكن قبل مجيئه بعيدًا، إذ لا يوجد جزء من الخليقة حُرم منه لأنه يملأ الكون وهو مُتَّحد بالآب».

### ثانيًا: ماذا رأى الكلمة؟

«ولكن بمجيئه للبشر تنازل وجاء لكي يعلن عن نفسه لأنه **رأى** أن الخليقة العاقلة تهلك وأن الموت يسود عليهم بالفساد **ورأى** أيضًا أن التهديد الخاص بالتعدِّي يُمكّن الفساد منّا (بقوة) لأنه من غير المعقول أن يُبطَل الناموس (الخاص بالتعدي)، ولا يتم. **ورأى** أيضًا عدم لياقة ما حدث، لأن الخليقة التي خلقها هو نفسه تهلك، لأنه **رأى** ازدياد شرور البشر وأنهم ينحدرون بالتدريج في الشرور التي يرتكبونها ضد أنفسهم، **ورأى** مسئولية liability كل البشر تجاه الموت».

### ثالثًا: محبة البشر

«لذلك تعطَّف على جنسنا ورَحِمَ ضعفنا وقَبِلَ أن يخضع لفسادنا... وإذ لم يحتمل أن يرى سطوة الموت علينا وأن ما خلق يهلك وأن عمل الآب في البشر يكون باطلًا، فأخذ لنفسه جسدًا، لأنه لم يفكر في مجرد الظهور ... وصوَّر لنفسه في العذراء جسدًا وجعله هيكلًا واتخذه

لنفسه كأداة يعلن فيها عن نفسه ويحلُّ فيها».

## رابعًا: عمل الكلمة المتجسد

«واتخذ لنفسه جسدًا مثل أجسادنا، لأن الكل قابلٌ لفساد الموت، وسلَّمه للموت عن الجميع وقدَّمه للآب. فعل هذا بمحبته للبشر حتى يموت فيه الجميع، وبذلك يلاشي ناموس فساد البشر، لأن قوته قد انتهت في جسد الرب ولا تستطيع (قوة الفساد) أن تسود على البشر الذين يصبحون مثله (ربنا يسوع المسيح). وكما أن البشر عادوا إلى الفساد (بالخطية)، يعيدهم مرةً ثانية إلى عدم الفساد، ويعطي لهم حياةً من الموت، لأن الجسد (البشري) صار جسده (الكلمة) وبنعمة القيامة ينقذهم من الموت مثل إنقاذ القش من النار»

(تجسد الكلمة ٨: ١ - ٤، المرجع السابق، ص: ١٥٣).

القسم الثالث

# عمل الكلمة المتجسد

## كما قدَّمه القديس أثناسيوس في كتاب تجسد الكلمة

### أولا: القضاء على الفساد

«ولأن الكلمة رأى أن فساد البشر لا يمكن القضاء عليه إلَّا بموت الجميع، ولأن الكلمة لا يموت لأنه خالد وابن الآب، فقد أخذ لنفسه جسدًا قابلًا للموت، حتى باشتراكه في الكلمة الذي هو فوق الكل يكون كافيًا للموت عن الكل، ولأن الكلمة حلَّ فيه، يبقى في عدم فساد (الجسد) وبذلك يتوقف فساد البشر بنعمة القيامة».

### ثانيًا: القضاء على الموت:

«وقدَّم جسده للموت قربانًا وذبيحةً خاليةً من العيب، وفورًا أباد موت أقرانه الذين يشبهونه (كبشر) بتقديم جسدٍ مثل أجسادهم. ولأن الكلمة فوق الكل، ولأنه قدَّم هيكله وأداة جسده عوضًا عن كل البشر، أتمَّ الدين بموته he fulfilled the debt by his death وكما أن ابن الله العديم الفساد اتحد بكل البشر بواسطة جسدٍ مماثلٍ لأجسادهم، ألبس كلَّ البشر عدم الفساد بالوعد بالقيامة. والآن توقَّف فساد الموت الذي ساد على البشر بسبب الكلمة الذي حلَّ بينهم بجسدٍ مماثلٍ لأجسادهم».

## ثالثًا: تشبيهٌ أو مَثَل

«وكما أنَّ ملكًا عظيمًا دخل مدينةً عظيمة، وسكن في منزلٍ من منازلها، فإن هذه المدينة تحظى بتكريم خاص، ولا يستطيع عدوٌّ أو عصابةُ لصوص أن تقتربَ منها، بل تُعامَل بإكرام بسبب الملك الذي اتخذ لنفسه إقامةً في أحد منازلها، هكذا كان ملك الكل. فقد جاء إلى عالمنا وسكن في جسدٍ مثل أجسادنا، فتوقفت كلُّ تدابير العدو ضد البشر، وأيضًا أُبيد فساد الموت الذي كان له سابقًا قوةً عليهم. كان جنس البشر عُرضةً للهلاك ما لم يأتِ ربُّ الكل والمخلِّص ابن الله لكي يضع **نهايةً للموت**»

(تجسد الكلمة ٩: ١ - ٤، المرجع السابق، ص ١٥٤-١٥٥).

## مثلٌ آخر

«وحقًا، إن هذا العمل العظيم يليق بصلاح الله. لأن أيَّ ملكٍ يبني بيتًا أو مدينةً ويهجم عليها اللصوص بسبب إهمال السكان، فإن الملك لا يتركها بل يقوم وينتقم وينقذ عمل يديه دون أن يلتفت لإهمال السكان بل إلى كرامته. وهكذا أيضًا، عندما خَلَقَ جنس البشر وسقط في الفساد، فإن الله كلمة الآب الكُلِّي الصلاح لم يهملهم، بل واجه الموت الذي ساد عليهم بتقديم جسده، وأصلح الإهمال بتعليمه وجدَّد وضع الإنسان بقوته (٢كو ٥: ١٤-١٥، عب ٢: ٩، عب ٢: ١٠)».

## ذبيحة جسد ربنا يسوع المسيح

«وبذبيحة جسده وضع نهايةً للناموس الذي كان ضدنا، وجدَّد لنا أصل (بداية) الحياة عندما أعطانا الوعد بالقيامة. **وكما أنه بالبشر ساد الموت على البشر**، لذلك السبب، بتجسُّد الله الكلمة تم القضاء على الموت، وقيامة الحياة. (١كو ١٥: ٢١-٢٢). ومنذ الآن لا نموت

تحت الدينونة، بل كمَن سيقوم في يوم القيامة العامة (١تيم ٦: ١٥ – تيطس ١: ٣). هذا هو السبب الأساسي الذي لأجله تجسد المخلص»

(تجسد الكلمة ١٠: ١، ٥، المرجع السابق، ص ١٥٥ - ١٥٩).

القسم الرابع

# خُلاصة تعليم القديس أثناسيوس

## أولًا: خلق الإنسان

يلاحظ القارئ أن القديس أثناسيوس يقدم ثلاث حقائق أساسية عن خلق الإنسان:

**أولًا:** خلقُ الإنسان هو نقطة البداية لأن الإنسان جاء من العدم وهو المصدر الطبيعي الذي منه خُلِقَ كل ما هو كائن. هذا يعني حسب شرح القديس اثناسيوس أن الإنسان فانٍ ومائتٌ بالطبيعة.

**ثانيًا:** حظى الإنسانُ بنعمة الوجود أو الحياة ونعمة الصورة، وبالتالي العلاقة الأساسية بين الله والإنسان هي **علاقة نعمة**، فالإنسان الذي جاء من العدم ووُهِبَ أن يشترك في قوة الكلمة، إنما دُعيَ إلى الوجود بسبب محبة الله الخاصة للجنس البشري. هذه المحبة تظهر بشكلٍ خاص في خلق الإنسان على صورة الله. ومن هنا كان الصلاح والمحبة هما سبب الخلق وهما مصدر النعمة، لذلك لا نستطيع أن نضع الناموس كأساسٍ للعلاقة بين الله والإنسان، لأن الناموس حسب كلمات القديس أثناسيوس أُعطيَ لكي يدعِّم أو يحفظ نعمة الصورة وحرية الاختيار عند الإنسان.

**ثالثًا:** يحدد القديس أثناسيوس دور الناموس كعلاقة خاصة بحرية الاختيار عند الإنسان وليس بوجود وكيان الإنسان، أو بدرجة فائقة ظاهرة جدًا، وهي أن الإنسان صورة الله يحيا مثل الله، خُلِقَ من أجل حياةٍ منسَجِمةٍ مع الله.

هذا هو جوهر خلقِ الإنسان، فهو لم يُخلَق من أجل الناموس، كما أن الناموس لم يخلِق الإنسان. لقد خُلِقَ الإنسان لكي يحيا مثل الله كصورةٍ له، وهذا هو قمة عطاء المحبة الإلهية، وبالتالي لم يُخلَق الإنسان من أجل الناموس، وإنما من أجل محبة الله.

وإذا كان الإنسان قد خُلِقَ من أجل الله ومحبته، صار من الضروري أن نقول إن الإنسان لم يُخلق لا بالناموس ولا من أجل الناموس، بل خُلق بالنعمة ولأجل محبة الله، ويبقى الناموس هو الحد الواضح الصريح الذي يحدِّد مسار حرية الاختيار عند الإنسان، ولا يستطيع أن يحدد نشأة وغاية خلق الإنسان.

## ثانيًا: الخطية

عندما يشرح أثناسيوس الرسولي الخطية فإننا يجب أن نتوقف أمام كل كلمة، لأنه يؤكد أنه يكتب التعليم الذي سَمِعَه من المعلِّمين، وعلى رأس هؤلاء القديس بطرس خاتم الشهداء (راجع مقدمة الرسالة إلى الوثنيين؛ الفصل الأول). وعندما يقدِّم لنا أثناسيوس الرسولي سقوط الإنسانية، فإننا نلاحظ على الفور أنه لا يكتب عن آدم وحواء فقط، بل عن «الجنس البشري»، وهو الاسم الذي يُستَعمَل كثيرًا في كل كتابات أثناسيوس، وبشكلٍ خاص «تجسُّد الكلمة»، فما هي خطية الانسان كما شرحها هذا المعلم العظيم؟

**أولًا:** الخطية نابعة من حرية الإرادة وتُولَد في فكر الإنسان وعقله وبمشورة الشيطان التي أطاعها الإنسان. والخطية هي فكر، وهي اختراعٌ إنساني - شيطاني يقوم فيه الفكر بالدور الرئيسي.

**ثانيًا:** الجسد ليس مصدر الخطية، بل هو الأداة التي تنفِّذ الخطية،

وهو الأداة التي يظهر فيها الشر، فالجسد ليس عاقلًا بدون العقل والإرادة.

**ثالثًا:** الخطية مِن خلقِ فكر الإنسان واختراع عقله، وبالتالي ليس لها كيان أو طبيعة أو جوهر، وهي تُولَد في فكر الإنسان وينفِّذها الجسد، وتظهر في شكل أعمال جسدانية، ولكن كلَّ شيءٍ يموت بموت الإنسان الخاطئ، ومن هنا جاءت العبارة الخطيرة التي قد يشعر القارئ بخطورتها والتي تقول: «**الشَّرُّ عدمٌ والوجودُ خيرٌ**»، لأن ما هو موجودٌ وكائنٌ هو مِن صُنع أو مِن خَلقِ الله. فالخطية التي تدخل العالم بفكر الإنسان وتلوِّث كلَّ شيء لا تبقى بالمرة، بل تتبدد عندما يموت صانعها، وهي لذلك مثل الكائنات الطفيلية التي تعيش على عائلٍ؛ تموتُ بموت العائل. هذا يضع أمامنا الحقائق التالية:

١- الخطية اختراع فكر الإنسان، وبالتالي لا يوجد لها مقابل أو مماثل في الحياة الإلهية، وهذا هو سبب عدم قدرة الخطية والشَّر على الاستمرار والبقاء إلى الأبد.

٢- الخطية تُولَد مِن كائنٍ جاء هو أصلًا من العدم، لا يملك حياته أو وجوده، وبالتالي فكل ما يخلقه هذا الإنسان الذي خُلِقَ من العدم، لا بُد وأن ينتهي إلى العدم لأن كيان الإنسان وقدراته لا تستطيع أن تحفظ ما يخلقه إلى الأبد.

٣- الخطية يخلقها الإنسان، ولكنها تؤثِّر بشكلٍ خطير في كيانه وتُزيِّف كيان الإنسان، وتجعل الإنسان ينتهي في النهاية إلى الموت ويبقى فيه لا يستطيع أن يخرج منه مهما حاول، لأن الخطية تؤدِّي في النهاية إلى فقدان «نعمة الصورة الإلهية».

## علاقة الخطية بالموت

لم يخلق الله الإنسانَ لكي يموت، وإلَّا لماذا جاء وتجسَّد ومات على الصليب لكي يخلِّص الإنسان من الموت؟ لو كان الموت أحد أهداف الله لبَقيَ الإنسانُ كما هو دون تجديد وبلا وعدٍ بالقيامة. ولكن يبقى السؤال الخطير؛ ما هي علاقة خلق الإنسان حسب صورة الله بالخطية والموت؟

هنا يختلف الشرق الأرثوذكسي عن الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي. وهذه النقطة في غاية الأهمية، ولا يمكن تجاوزها لأنها النقطة التي تتوزَّع عندها الطرق والتي تشكل اتجاه فهم موت المسيح على الصليب وقيامته، لذلك يجب أن ننتبه إلى ما يأتي:

**أولًا:** لم يستخدم أثناسيوس كلمة «عقوبة الموت»، بل استخدم «حكم» و«مسئولية»، وهو ما لاحظه القارئ للترجمة الإنجليزية الحديثة التي نشرتها جامعة أوكسفورد في عام ١٩٧١ للأستاذ *Robere W. Thomson* لكي تخلف الترجمة القديمة التي نُشرت عام ١٨٨٠ وما بعدها، والتي نُشرت في وقت لم تكن دراسات الآباء فيه قد تقدَّمت بالكفاية التي تسمح بحصر المصطلحات اللاهوتية. وهنا يلزمنا في ضوء ما سبق وذكرناه عن خلق الإنسان أن نرى بوضوحٍ كافٍ أن خلقَ الإنسانِ على صورة الله لا يُلزِم الله بالمرة بأن يعاقِب الإنسان بالموت، بل يُلزِم الإنسان -وقد أُعطيَ حرية الاختيار- أن يختار مصيره بنفسه وذلك للأسباب التالية:

١- علاقة الإنسان بالله هي علاقة نعمة ومحبة، وهي لذلك لا تسمح بأن يرغم الله الإنسان على البقاء رغمًا عن إرادته في حياة شركة. وهنا يجب أن نرى أن المحبة من جانب الله، وهي التي سمحت له بأن يعطي الإنسان حرية الاختيار، يوافقها خضوع وطاعة محبة من جانب الإنسان، وإلَّا تحول الإنسان إلى حيوان تسود عليه الطبيعة

وتحكمه الغرائز، وهو ما يجعل الإنسان يفقد إنسانيته.

٢- إذا كانت الخطية هي تحوُّل في طبيعة الإنسان، فإن هذا التحوُّل هو في حد ذاته العقوبة الكافية إذا تعدَّى الإنسان وخرج على طبيعته وأراد أن يعيش، ليس كصورةٍ لله بل كصورةٍ لذاته هو.

لقد قدَّم القديس أثناسيوس هذه الحقيقة المفزعة تحت كلمات وعبارات واضحة، ولكن صياغتها الكلاسيكية القديمة في اللغة اليونانية تستدعي الوضوح والشرح. ويلاحظ القارئ أن الإنسان لم يعد يفكر ويتأمل طبيعة الله، أو - حسب كلمات القديس أثناسيوس - أنه ترك الأمور الأبدية وتحوَّل أو ارتد عن الله.

هنا يرى القارئ جسامة خطية الجنس البشري لأن التحول عن الله يعني أن يتأمل الإنسان ذاته ويرى في ذاته ليس صورة الله، بل الأصل أو الطبيعة التي جاء منها أي العدم. لقد أفاض القديس اثناسيوس في شرح هذه النقطة في "الرسالة إلى الوثنيين" في الفصول ٣ - ٤- ٥:

> «وهكذا حوَّل البشر فكرهم (عقولهم) من الأمور الأبدية الباقية وبدأوا يحدِّدون كيانهم بالالتصاق بالجسد وبالحواس، فخُدِعوا بما اختاروه من اهتمامات وسقطوا في رغبات الأنانية وفضَّلوا الصلاح أو الخير الخاص بهم على تأمل اللّه»
>
> (فصل ٣: ص٩ من الترجمة الحديثة).

وهنا يرى القارئ أن الخطية هي خير إرادة الإنسان لنفسه دون الخير الحقيقي الذي أراده له الله. هي خيرٌ من اختراع الإنسان لأنه يتلاءم مع الأنانية ويتعارض مع الخير الذي يريده الله، وهو الخير الدائم الأبدي، أي الله نفسه.

ويقدِّم أثناسيوس الشرح من الكتاب المقدس نفسه عندما يعرض لنا قصة آدم وحواء كما قبلتها كنيسة الإسكندرية. ويقول أثناسيوس إن الشرح السابق نراه في آدم وحواء حسب رواية سفر التكوين:

> «ويمكن أن نرى أن هذا حدث فعلًا مما سجَّلته الأسفار الإلهية عن الانسان الأول. وطالما كان عقله يتأمل الله ثابتًا في تأمُّله، كان لا يتأمل جسده، ولكن بغواية الحية ترك التفكير في الله وبدأ يهتم بذاته، عند ذلك سقطا (آدم وحواء) في الرغبات الجسدانية وشعرا بأنهما عريانين. وعرفا أنهما ليسا عريانين من الملابس بل تجردا من تأمل الأمور الإلهية وحوَّلا عقلهما إلى الاتجاه المضاد» (المرجع السابق).

٣- ومن الضروري أن نتوقف قليلًا أمام عبارات القديس أثناسيوس الخاصة بالتهديد بالموت في حالة العصيان، لأن هذه الكلمات مثل غيرها الخاصة بالارتداد أو التحوُّل عن الله، تؤكِّد أن الله لم يخلق الإنسان للموت ولا عاقبه بالموت، بل كَشفَ له عن خطورة الخطية، لأن التهديد والإنذار هو جزءٌ من عمل الناموس الذي يصون حرية الاختيار، وكأننا هنا أمام حقيقة هامة، وهي أن التهديد بالموت يؤكِّد عدم اشتراك الله في معاقبة الإنسان بشكلٍ مباشر، لأن الموت يقتضي حرمان الإنسان من نعمة الشركة وأن يُترَك للفساد الذي اختاره، وبالتالي يعود إلى الطبيعة الأولى التي أُخِذَ منها؛ وهي عدم الوجود أو العدم.

وهنا يجب أن نفهم كلمات القديس أثناسيوس بشكلٍ واضح، لأن الكائن الوحيد الأبدي الذي يملك حياته ووجوده لأنه لم يأخذ وجوده من آخر هو الله وحده، أمَّا كل الخليقة -حتى الرُّتب الملائكية- فهي خُلقت

من العدم، وبالتالي لا تملك حياتها ولا وجودها، أو بعبارةٍ أخرى؛ «الواجب الوجود» هو الله، وما عدا ذلك فهو موجودٌ حسب نعمة الخلق من العدم (استخدم القديس أثناسيوس هذا التعبير في الرد على الأريوسيين مقالة ١: ٥٨ – ص٣٤٠).

والفرق بين القديس أثناسيوس ومدارس الفلسفة اليونانية أو بين الكتاب المقدس وتعليم الفلاسفة هو في هذه النقطة بالذات. فالتعليم المسيحي هو أن الأبدي بالطبيعة هو الله، أما الأبدية فهي تُعطى نعمةً من الخالق، إذا فقدها الإنسان أو حتى الملائكة عادوا إلى العدم. وذلك يؤكِّد مراحم الله الفائقة، لأننا -رغم أننا فقدنا الشركة مع الله- إلا أن الله لم يتركنا ولم ينفصل عن الكون، بل ظلَّ يمد الكائنات كلها بنعمة الوجود. ويقول القديس أثناسيوس عن الابن كلمة الآب الخالق:

> «لأنه بإيماءةٍ nod وبقوة اللّٰه الكلمة الذي للآب، يضبط ويسود على الكل، به تتحرك السموات وتسير الكواكب في مجراتها .. ويُولَد الإنسان (يتكون) ويحيا .. وكل الأشياء تحيا وتتحرك به»
>
> (الرسالة إلى الوثنيين فصل ٤٤: ١).

وليس هذا غريبًا لأن تعليم الكنيسة واضح، فكلُّ الأشياء كائنةٌ بقوة الكلمة الابن الخالق (عب ١: ١-٣)، فهو «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته». ولو أن الله هو مصدر الموت وهو الذي عاقب الإنسان بالموت، وشاء أن يحرمه من البقاء ومن الحياة، لوَصَلَت الخليقةُ إلى العدم، ولا كان لنا تاريخٌ أو وحيٌ أو أنبياء. هذه الحقيقة الرسولية تغيب عن أذهاننا عندما نتصوَّر في لحظات الندم أو الخوف، أن الله سوف يعاقبنا بالموت. ولكن الله الذي قال يوم تأكل منها موتًا تموت، لم يكن هو الذي قال للإنسان يوم تأكل منها سوف أُميتُكَ.

**ثانيًا:** ما هي مطالب الناموس؟

غاب عن الترجمة القديمة التعبير الشرقي المشهور «محب البشر» والذي يظهر في كل صلوات الكنائس الشرقية وفي الكنيسة القبطية بشكلٍ خاص. فقد خلق الله الإنسان بسبب محبته -بشكلٍ خاص- للجنس البشري. ولأن المترجِم إلى اللغة الإنجليزية لا يملك تعبيرًا انجليزيًا يشرح اللقب الذي ورد في اللغات الشرقية، فإذا ترجَمَ لقب «محب البشر» إلى *Lover of mankind* فهو لا يعطي أي دلالة وبلا معنى في اللغات الأوروبية، ولذلك اقتصر على استخدام *loving – kindness* في الترجمة القديمة و *benevolence* في الترجمة الجديدة، ولذلك رأيت من الضروري العودة إلى التعبير القبطي – اليوناني الوارد عند معلمنا أثناسيوس، لأنه أحد المفاتيح الأساسية لفهم موقف الله من سقوط الإنسان ومأساة الخطية والموت. وهنا يقدم أثناسيوس التعليم الرسولي في دقة:

١- الله صادق، فإذا قال للإنسان موتًا تموت، وجب على الإنسان أن يموت، فالله لا يكذب من أجل منفعة الله.

٢- لكن الإنسان اشترك في قوة الكلمة، وهو ما جعله يظهر مثل ظل أو انعكاس للكلمة وبالتالي كيف يتفق موت مع صلاح الله:

> «كان لا يليق أن الذي خُلق عاقلًا واشترك في كلمته يهلك ويعود إلى العدم بالفساد .. هذا لا يليق بصلاح اللّٰه» (تجسد الكلمة ٦: ١٠، المرجع السابق، ص ١٤٧).

٣- صلاح الله لا يقبل هلاك الخليقة، خصوصًا إذا جاء الهلاك بسبب إهمال الإنسان أو مشورة الشيطان. ونفس الصلاح لا يقبل أن يسود الموت وفساد الموت على الإنسان الذي خُلِق من أجل محبة الله للبشر.

٤- في كل هذا يؤكد أثناسيوس أن مأساة الإنسان لا تتفق مع صفات الله، ولا مع غاية خلق الإنسان، ولا مع نعمة الشركة.

## العناصر الأساسية في تعليم الغرب منذ عصر أنسلم:

يدرك مَن يتتبع طريقة عرض القديس أثناسيوس أننا إزاء صياغة دقيقة محددة، فهو لا يذكر بالمرة المسائل التالية:

١- لا توجد إشارة واحدة إلى غضب الله على الإنسان.

٢- لا يذكر مطلقًا أن خطية الإنسان كانت إهانةً لكرامة الله.

٣- لا يذكر بالمرة أن الابن جاء وتدخل لكي يرضي العدل الإلهي أو يقدم فديةً عن الإنسان.

## فماذا يذكر معلمنا أثناسيوس؟

١- سقوط الإنسان وفساده يتعارض مع صلاح الله.

٢- لا يليق أن عمل الله يتبدد ويصبح كلا شيء.

٣- هل يسمح الصالح للفساد بأن يسود على البشر؟

٤- ماذا كان الداعي أو الحاجة إلى خلق البشر، لأنه كان يليق أن لا يُخلَقوا من أن يُخلَقون ويُتركون عرضةً للهلاك.

٥- إهمال البشر لا يُقابَل بإهمالٍ من الله، لأن إهمال الله يعلن ضعف الله لا صلاحه «لأنه بعد أن خلقهم ترك عمله للفساد».

## كيف حدد القديس أثناسيوس موقف الله؟

لا يجب أن نشتت فكر القارئ في مناقشة الفرق بين ترجمتين يزيد الفارق الزمني بينهما على ١٠٠ سنة، ولكن كما يلاحظ القارئ أن الترجمة الحديثة تجنبت استخدام كلمة عدل بالمرة وقدَّمت موقف الله بعبارة محددة:

*"on the other hand lies opposed to it what was reasonable for God". (149).*

وحتى لا يتعب القارئ في القواميس والمراجع نضع النقط فوق الحروف:

١- إذا كان خلق الإنسان هو عمل نعمة وصلاح الله، وكان الناموس هو عمل حفظ وصيانة للنعمة، صار من الحتمي أن نعتقد باستقامة أرثوذكسية أن محور المشكلة هو فقدان النعمة.

٢- لماذا احتاج الإنسان إلى معونة وإغاثة الخالق نفسه؟ لأن الله هو مصدر النعمة، وبالتالي لا يملك الإنسان إلَّا الحل الإلهي الذي يعيد فيه النعمة للإنسان ويجدده من الفساد والموت.

وهذه هي عبارة القديس أثناسيوس نفسه:

> «ومَن كان يمكنه أن يرد هذه النعمة سوى كلمة اللّه الذي هو أيضًا في البدء خلق الكون من العدم؟» (تجسد الكلمة ٧: ٤، المرجع السابق، ص ١٤٩).

ويقدم أثناسيوس التشبيه المعروف عن سُكنى الملك في منزل أو في مدينة والإكرام والتشريف الذي يُعطى للمدينة بسبب وجود الملك. ويطبِّق القديس أثناسيوس هذا التشبيه على التجسُّد وما ناله الإنسان من حمايةٍ وإكرام. وفي تشبيه آخر عن فساد الصورة المرسومة على خشب والتي تلطخت بأدرانٍ أو قذارة، يؤكد أثناسيوس على ضرورة حضور صاحب الصورة لكي يستخدم نفس «المادة» التي رُسِمَت عليها الصورة ويجدِّد بها الصورة. ويطبِّق هذا التشبيه على «ابن الآب الكُلِّي القداسة الذي هو صورة الآب، جاء إلى عالمنا لكي يجدِّد الإنسان الذي خُلِق على صورته، ولكي يُعيد الضال ويرده بمغفرة الخطايا» (تجسد الكلمة ١٤: ٢،

المرجع السابق، ص ١٦٧). هذا التشبيه مثل التشبيه السابق يشير إلى اتجاهٍ واحد، وهو أن الكلمة جاء لكي يجدِّد الخليقة ويرد الضال.

كلُّ هذا يؤكِّد أن الفداء هو في رد الإنسان إلى صورة الله، وليس في دفع دَينٍ أو احتمال العقوبة بدلًا عن الإنسان، وهو التفسير الذي شاع في مصادر العصر الوسيط منذ زمن أنسلم *Anselm* وانتقل إلى كتابات مارتن لوثر ويوحنا كالفن حتى صار العلامة المميِّزة للتعليم البروتستانتي لكنائس حركة الإصلاح ولكافة الشيع التي تدور حولها.

وإذا فحصنا كتاب تجسد الكلمة، فإننا نجد تشبيهات أخرى لا تقدم مطلقًا فكرة إرضاء العدل الإلهي، وهي بالتحديد:

+ انقاذ القش من النار (فصل ٨: ص ١٥٣).
+ الملك الذي يحل أو يسكن في بيت أو مدينة (فصل ١٠: ص ١٥٥).
+ حضور صاحب الصورة لكي يجدد صورته (فصل ١٤: ص ١٦٧).
+ تنازل المعلم إلى مستوى تلاميذه (فصل ١٥: ص ١٦٩).
+ كما تنير الشمس الخليقة هكذا الكلمة بصورة أعظم طهر الجسد وأحياه (فصل ١٨: ص ١٧٧).
+ الرب وحده هو الذي استطاع أن يعبر إلى مملكة الطاغية ويقيد الموت ويجعله بلا فاعلية (فصل ٢٨: ص ٢٠٣).
+ الكلمة حاضرٌ في الخليقة مثل حضور النفس في الجسد (فصل ٤١: ص ٢٣٧).
+ القش قابلٌ للاحتراق، ولكن إحاطته بمادة لا تحترق مثل الاسبستوس تجعل القش في أمان، وهكذا جاء الكلمة وتجسَّد وغطَّى الجسد بحياة عدم الفساد حتى لا يعود مرةً ثانية إلى فساد الموت (فصل

٤٤: ص ٢٤٧، راجع أيضًا فصل ٢٠: ص ١٨٣). وهكذا من خلال ثمانية تشبيهات يجد القارئ أن التجسُّد والصلب والقيامة هي فداءٌ وتحوُّلٌ جذري في طبيعة الإنسان، بعكس التشبيه الذي شاع في الغرب عن انعقاد محكمة يعجز الإنسان فيها عن دفع غرامةٍ أو دين، ويتطوع الرب يسوع لكي يُنقِذ المتهم ويدفع الغرامة أو التعويض أو الفدية للآب ويُطلِق سراح المجرم.

فكيف غابت هذه الصورة عن فكر أثناسيوس وعن فكر كل آباء القرون الخمسة الأولى؟ والجواب هو أن لقب «محب البشر» هو الذي يشكِّل المحور الأساسي في تعليم الآباء. وفي كل نصوص الكتاب المقدس هو الذي يميز التعليم الشرقي عن التعليم الغربي.

## ثالثًا: الدَّين

طالما أن القديس أثناسيوس لا يذكر مطلقًا لا من قريبٍ ولا من بعيد أن الآب عَقَدَ محكمةً لكي يحاكم الإنسان الساقط، أصبح من الضروري أن نبحث في كتابات أثناسيوس نفسه عن معنى كلمة «الدَّين»، وعن معنى كلمة «فدية»، ومع أن الكتاب المقدس لم يصف الخطية صراحةً بأنها دَين، إلَّا أن المعنى موجود بشكلٍ واضح في إنجيل معلمنا متى، وفي نص الصلاة الربانية كما استلمتها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، حيث تظهر الخطية كَدَين:

«اترك لنا ما علينا، كما نترك نحن للذين ...».

وتظهر فكرة الدَّين بشكلٍ أوضح في إنجيل معلمنا (متى ١٨: ١٥-٣٥) في مثل العبد الذي وقف أمام الملك «لكي يحاسبه» (متى ١٨: ٢٣) ولما ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحدًا مديونًا بعشرة آلاف وزنة، وإذ لم يكن

له ما يوفي أمر سيده أن يُباع .. فخرَّ العبدُ وسجد له قائلًا يا سيد تمهل عليَّ فأوفيك الجميع، «**فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين**» (متى ١٨: ٢٤-٢٧). والمثل قيل عن المغفرة لأن الرسول بطرس تقدَّم إلى الرب يسأل كم مرة يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له؟ والملك في نفس المثل لم يكن يحاسب من استدان وإنما مَن «بدد». وعندما طلب العبد مهلةً لكي يدفع الدين (متى ١٨: ٢٦)، فإن الملك الذي يعرف أن العبد عاجزٌ عن الدفع «تحنن عليه وأطلقه وترك له الدين» (١٨: ٢٧). وهنا لا نستطيع أن نقول إن الخطية كَدَينٍ يجب أن يُدفَع لله، وانما لأن بطرس طلب أن يعرف حدود المغفرة، فسمع ٧ × ٧٠ أي كمال التخلي عن الإساءة حسب قول الرب في نهاية هذه الفقرة الهامة: «هكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كلُّ واحدٍ لأخيه» (متى ١٨: ٣٥). وإذا حصر الانجيل المقدس معنى «الدَّين» في عجز الإنسان عن الدفع وفي تحنن الرب أو الملك، تعيَّن علينا أن نفكر في كيفية استخدام القديس أثناسيوس لهذه الكلمة.

## الدَّين في كتاب تجسُّد الكلمة

استخدمت الترجمة الحديثة كلمة «الدَّين» مرتين في (فصل ٩: ص ١٥٥ وفصل ٢٠: ص ١٨٣)، مع إشارة إلى الدَّين دون استخدام الكلمة في (فصل ٢٠: ١٨٥). وأول ما يجب أن نلاحظه هو أن عبارات القديس أثناسيوس توحِّد بين **الدَّين والموت**، وليس بين **الدَّين والعدل**.

**النص الأول:**

> «ولأن الكلمة فوق الكل، ولأنه قدَّم هيكله وأداة جسده عوضًا عن كل البشر، أتمَّ الدَّين بموته. وكما أن ابن اللّه العديم الفساد اتحد بكلِّ البشر بواسطة جسد مماثل لأجسادهم ألبس كلَّ البشر عدم الفساد بالوعد بالقيامة" والآن توقف فساد الموت الذي ساد

على البشر بسبب الكلمة الذي حل بينهم بجسد مماثل لأجسادهم»

(تجسد الكلمة ٩: ٢، المرجع السابق، ص ١٥٥).

**النص الثاني:**

«وقد أشرنا جزئيًا (باختصار) عن سبب ظهوره متجسدًا على قدر استطاعتنا وعلى قدر فهمنا، لكي ندرك أنه لا يوجد آخر كان يستطيع أن يرد الفاسد إلى عدم فساد سوى المخلص نفسه الذي في البدء خلق الكون من العدم، ولم يكن آخر قادرًا على إعادة خلق البشر على صورة (اللّه) إلَّا صورة الآب ولا يقدر آخر أن يقيم المائت إلى عدم الموت سوى ربنا يسوع المسيح **الذي هو نفسه الحياة**، ولا يقدر آخر أن يعلِّمنا عن الآب وأن يلاشي عبادة الأوثان سوى الكلمة الذي يضبط الكون والذي هو وحده ابن الآب الحقيقي. وإذ كان الدَّين المستحق على كل البشر يجب سداده (دفعه) عن الكل -كما قلت سابقًا- مات بعد أن برهن على أُلوهيته بأعماله، وهو الآن يقدِّم ذبيحةً عن الكل ويسلِّم هيكله إلى الموت عن الكل، لكي يبرر الكل ويحرر الجميع من المعصية الأولى، وأن يُظهِر ذاته أسمى من الموت معلنًا جسده كباكورة ثمار القيامة العامة»

(تجسد الكلمة ٢٠: ١ - ٢، المرجع السابق، ص ١٨٣).

**النص الثالث:**

«أمَّا الجسد الذي له طبيعة يشترك فيها الجميع فقد كان جسدًا إنسانيًا رغم أنه كُوِّن بمعجزةٍ من العذراء، إلَّا أنه كان قابلًا للموت ومات مثل موت أقرانه، ولكن بسبب مجيء (حلول) الكلمة فيه لم يعد فاسدًا حسب طبيعته ... وبذلك تمت معجزتان في وقتٍ واحد (عملان فائقان)؛ أكمل موت الجميع في

جسد الرب، وتمت إبادة الموت والفساد بسبب الكلمة الذي فيه (في الجسد). لأنه كانت توجد حاجة إلى الموت، الموت عن الجميع، وأن يتم هذا الموت حتى يمكن سداد دين الجميع» (تجسد الكلمة ٢٠: ٤ - ٥، المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٨٥).

وهكذا دون أن نفرض أفكارنا المسبَقة على عبارات القديس أثناسيوس يظهر بوضوح أن الموت هو دَين الإنسان لله، للآب والابن والروح القدس وليس للآب وحده، وأن هذا الدَّين يعجز الإنسان عن دفعه لأنه:

١- فَقَدَ الحياة حسب الصورة الإلهية التي أُعطيت له كنعمة.

٢- وقع أسيرًا للفساد والموت الذي تمكَّن منه وصارت له سيادةٌ على الإنسان بسبب صدق الله الذي قال للإنسان إنه سيموت إن تعدَّى.

٣- ضرورة تنفيذ التهديد الإلهي لأنه يتفق مع صدق الله.

وعبارات القديس أثناسيوس - مهما حاولنا أن نفرض عليها الأفكار المسبقة التي ملأت كتب اللاهوت منذ العصر الوسيط - لا تحتمل المعاني القانونية التي سادت اللاهوت الغربي للأسباب التالية:

**أولًا:** لم يقدِّم الابن جسده لكي يُرضي مطالب العدل حسب شرح أنسلم لعقيدة الكفارة. وإنما قدَّم الابن جسده للموت لكي يبطل الموت.

إن دراسة كلّ النصوص الخاصة بموت ربنا يسوع المسيح على الصليب تؤكد أن مؤلِّف كتاب تجسُّد الكلمة لا يعرف ولا يضمر فكرة إرضاء العدل الإلهي، وهذه هي عبارات القديس أثناسيوس التي يؤكِّد فيها أن الابن المتجسد لا يخضع للموت بالمرة مثل كل المخلوقات.

«الموت هو مصير كل البشر ويأتي عليهم جميعًا بسبب ضعف طبيعتهم لأنهم ليسوا غير مائتين (خالدين) بل عاجزين عن البقاء إلى الأبد. وينحلون مع مرور الزمن ...

أما الرب فهو ليس ضعيفًا بل هو قوة الله وكلمة الله الذي هو الحياة .. ولأنه الحياة وكلمة الله ولأن الموت يجب أن يتم عن الجميع، لذلك، لأنه الحياة والقوة أعطى القوةَ للجسد، وكما أن الموت كان لا بُد وأن يحدث، استخدم الرب هذه المناسبة التي قدَّمها له الآخرون ولم يقدمها هو لكي يكمِّل الذبيحة»

(تجسد الكلمة ٢١: ٤ - ٦، المرجع السابق، ص ١٨٧).

**ثانيًا:** الرب هو الحياة وهو قوة الآب وهو حتى في الجسد لا يموت كما يموت البشر، أي تنحل حياته بسبب مرور الزمن وبسبب ضعف الجسد، ويؤكِّد أثناسيوس هذا المعنى في فقرة هامة بعد ذلك:

«ولكي يبرهن على أنه هو الحياة والمخلص، انتظر الموت لكي يُبيده وأسرع إليه لكي يكمِّل خلاص الكل بالموت الذي فُرض عليه. وأيضًا لأن الموت لم يكن موته هو بل موت البشر والمخلص جاء لكي ينفذه (يكمِّله)»

(تجسد الكلمة ٢٢: ٢ - ٣، المرجع السابق، ص ١٨٩).

فإذا كان الموت ليس موت الرب نفسه ولا يخصَّه، وإنما هو يخصُّ البشر، لذا يتعذَّر علينا مصالحة هذا التعليم مع التعليم الغربي الذي فَرَضَ الموت على المخلص واعتبر الموت شيئًا لا بُد وأن يحدث. والفرق هنا دقيق جدًا، لأن الموت الذي يقبله الرب من أجل محبته ولكي يحوِّله إلى قيامة، ليس مثل الموت الذي يفرضه العدل الإلهي عليه ويرغمه على قبوله. هذا الفرقُ هامٌ جدًا؛ لأن التعليم الشرقي ينطلق من جوهر محبة الله وقدرته وسخاء محبته للبشر، وبالتالي يجعل الخلاص نعمةً يجود بها الله بلا قيود أو شروط، بينما يجعل التعليم الغربي الخلاصَ ضرورةً يُحتمها القانون أو الناموس، ويجد الله نفسه مُرغَمًا على قبول

كل ما في أحكام الناموس من مواد أو بنود. ولذلك السبب يقول القديس أثناسيوس أيضًا:

«ومن أجل حياة الجميع لم يدبِّر ربنا ومخلصنا المسيح موت جسده لئلا يبدو كما لو كان خائفًا من نوع معيَّن من الموت، وإنما قَبِلَ واحتَمَل موت الصليب الذيً فرضه عليه الآخرون خاصةً أعدائه ... حتى إذا تم هلاك الموت، يمكن لنا أن نؤمن بأنه الحياة وأن قوة الموت قد هلكت تمامًا»

(تجسد الكلمة ٢٤ : ٣، المرجع السابق، ص ١٩٣).

**ثالثًا:** يقدِّم القديس أثناسيوس تشبيهين في غاية الوضوح، التشبيه الأول؛ المصارع البطل الذي لا يختار خصمًا معينًا، بل يترك لأقوى الخصوم الفرصة وأسلوب النزال لكي يظهر للكل أنه القوي الذي لا يمكن أن ينهزم (فصل ٢٤: ٣، ص ١٩٣). والتشبيه الثاني؛ الملك الشرعي الذي يحارب الطاغية خصمه لكي يسترد ما أخذه الطاغية عنوةً ثم يقيده ويأخذه أسيرًا (فصل ٢٧: ٤، ص ٢٠١). ويطبِّق كلًا التشبيهين على الموت مؤكِّدًا أن المخلص قهر الموت وأباده وأهلك الموت على الصليب وليس فقط بالقيامة:

«لأنه قهر الموت وأسره وقيَّد يديه وقدميه على الصليب»

(تجسد الكلمة فصل ٢٧ : ٤ ، المرجع السابق، ص ٢٠١).

وهذا هو التعليم الشرقي الذي يجعل كل الآباء يعتبرون أن الصليب هو علامة انتصار وشرف ومجد (فصل ٢٩: ص ٢٠٣) ولذلك عندما نرشم علامة الصليب فنحن نضع أنفسنا في جانب القوة والانتصار. ومن هنا جاءت كتابات كل الآباء تمجِّد علامة الصليب وتجعل من رشم الصليب مناسبة مجد وقوة وانتصار، وليست مناسبة دفع ديون أو إرضاء للعدل الإلهي الذي لا يمثِّل انتصار المحبة. وهذه هي كلمات القديس أثناسيوس نفسه:

«لأنه بعلامة الصليب وبالإيمان بالمسيح سُحِقَ الموت، ويصبح واضحًا أن المسيح وحده هو الذي أظهر الانتصار والغلبة على الموت الذي جعله بلا قوة» (تجسد الكلمة فصل ٢٩: ١، المرجع السابق، ص٢٠٣ - ٢٠٥).

والمجال لا يسمح بعرض كل النصوص الخاصة بعلامة الصليب والتي نرشمها كعلامة غلبة. هذا كله راجع إلى الاعتقاد الراسخ بأن الرب لم يَمُت موت الخطية ولا ساد عليه الموت ولا تمكَّن الموت منه كما يتمكن من سائر البشر. وهذه هي كلمات القديس أثناسيوس نفسه:

«أظهر ابن الله بعد فترة ثلاثة أيام، الجسد الذي مات، بلا فساد وعديم الموت أو خالدًا، برهَنَ بذلك للكل أن الجسد لم يَمُت بسبب ضعف طبيعة الكلمة الذي حلَّ فيه وإنما لأن المخلص بقوته أباد الموت فيه (الجسد)» (تجسد الكلمة فصل ٢٦: ٦، المرجع السابق، ص ١٩٩).

وأيضًا بعد هذه الفقرة مباشرةً يقول القديس أثناسيوس:

«لقد أباد الموت وصار الصليب انتصارًا عليه» (تجسد الكلمة فصل ٢٧: ١، المرجع السابق، ص ١٩٩).

## عرض وتحليل أرثوذكسي

ويعلق الأب واللاهوتي الأرثوذكسي فلورفسكي *Florovsky* -في مقال له بعنوان «حمل الله» في مجلة اللاهوت الاسكتلندية مجلد ٤ عام ١٩٥١- على تعليم الآباء الشرقيين، وبشكلٍ خاص، القديس أثناسيوس، ويحدد هذا اللاهوتي الأرثوذكسي القديس أثناسيوس بالذات، لأنه حسب تعبيره في ص ٢٤ من مقاله المشار إليه بعاليه: «القديس أثناسيوس المعلِّم التقليدي للتجسُّد»

*The classical doctor of the incarnation.*

«لماذا عجزت التوبة عن أن تعيد وحدة الإنسان بالله؟»

يجيب القديس أثناسيوس بكل تأكيد كانت تعجز لأن التوبة لا تستطيع أن تقهر حالة الفساد أي الموت والتحلل التي بدأتها الخطية. لم يخطئ الإنسان فقط بل سقط في الفساد، ولكن الآن نزل كلمة الله وصار إنسانًا حتى أنه «كما عاد الإنسان إلى الفساد، استطاع أن يعيدهم مرة ثانية إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة مبيدًا الموت منهم (مبعدًا الموت عنهم) مثل إبعاد أو إنقاذ القش من النار» (تجسد الكلمة ٨: ٤). ولم يَهلِك الموتُ بمجرد ظهور الكلمة، أي الحياة في جسد الموت، وإنما بالحري بموت الحياة المتجسِّدة موتًا تطوعيًا.

ويؤكِّد القديس أثناسيوس أن الكلمة تجسَّد بسبب الموت، أي «لكي يقبل الموت في الجسد»، وبموته وحده تصبح القيامة ممكنة (تجسُّد الكلمة ٢١: ٧). لقد تألم المسيح بالموت، ولكنه عَبَرَ الموت وقهر الموت والفساد، أو كما نقول في عيد القيامة: «بالموت داس الموت».

كان موت الصليب حاسمًا، ليس لأنه موتُ شخصٍ بريء وإنما لأنه موت الرب المتجسِّد. ويقول القديس غريغوريوس النزينزي في عبارات جريئة:

> «كنا نحتاج إلى تجسُّد الله وإلى أن يموت الله حتى ما نحيا نحن» (مقالة ٤٥: ٢٨ على الفصح).

لأن الشخص الذي صُلب ومات هو الإله والأقنوم الثاني الذي لا يوجد فيه أقنوم بشري، فالمسيح أقنومٌ واحدٌ إلهٌ متجسِّد.

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي:

> «الذي تألم لم يكن مجرد إنسان، بل الله المتجسِّد»
> (العظة ١٣: ٦).

وربما من الصواب أن نقول إن الله مات على الصليب بناسوته، كما نقول في خدمة سبت الفرح:

«الجالس في الأعالي الآن يُحسب ضمن الأموات،
وفي القبر الصغير وجد له مكانَ إقامةٍ».

«هذا هو موت المسيح الطوعي أو الاختياري، وهو موتُ مَن هو الحياة الأبدية ذاتها، وهو موت ناسوته ولكنه الموت الذي يحدث في أقنوم الكلمة المتجسد وبذلك يصبح موتًا يُقيم (موتًا قياميًا)» *resurrecting death*. كان موتًا حقيقيًا، ولكنه لم يكن مثل موتنا نحن لأنه بكلِّ وضوح كان موت الكلمة المتجسِّد، أي الموت الذي حدث في أقنوم الكلمة المتجسِّد الذي لا ينفصل لاهوته عن ناسوته بالمرة. ومرةً ثانية، كان موتًا طوعيًا أو اختياريًا، لأن «أجرة الخطية هي موت»، ولم يكن موته أجرةً للخطية. ولم يَمُت كضرورة تُحتِّمُها الطبيعة الساقطة، وإنما مات بسبب حرية محبته الفادية. والنقطة الأساسية هي أنه موتٌ حَدَثَ في داخل أقنوم الكلمة المتجسِّد، موتُ الناسوت الذي ليس هو أُقنومٌ آخر أو ثانٍ، بل ناسوتٌ متأقنم بسبب اتحاده بالكلمة *enhypostasised*.

الموت هو انفصالٌ، وفي موت الرب، بكل يقين، انفصلت نفسه عن جسده، لكن في الأقنوم الواحد للكلمة المتجسِّد الذي لا ينفصل، وبسبب الاتحاد الأقنومي لم يحدث انفصال بين اللاهوت وبين النفس والجسد، وإنما بين النفس والجسد فقط، ومع ذلك ظلَّ الجسد المنفصل عن النفس مُتَّحدًا بلاهوت الكلمة، وظلَّت النفس المنفصلة عن الجسد مُتَّحدة بلاهوت الكلمة. وهكذا، لا يتغير الموت وإنما الذي تغيَّر هو معناه، لأنه لم يعد «فسادُ موتٍ»، بل موتٌ بلا فساد، لأن الفساد قد أُبيد وبه بدأت القيامة.

ويقول القديس يوحنا الدمشقي:

«موت الكلمة المتجسد يعلن قيامة الطبيعة الإنسانية»
(الإيمان الأرثوذكسي ٣: ٢٧).

مما سبق يظهر لنا وجهان لسرِّ الصليب. أولًا هو سر العار وثانيًا هو سر المجد. هو حقًا سر الحزن والألم والموت والإهانة والتخلي. وتحذِّرُنا الكنيسة ضد كل محاولات الهرطقات الغنوسية والمشبِّهة (الخيالية) التي تحاول الإقلال من آلام المسيح وحقيقة موته التي تعطل صلب المسيح (١كو ١: ١٧)، ولكن الكنيسة تحذِّرُنا أيضًا من الجانب المضاد للغنوسية، وهو تأكيد الآلام والمعاناة على حساب المجد والقوة. وبذلك يصبح موت المسيح هو حقًا الانتصار على الموت، وظَفَر التواضع والمحبة، ولكنه قبل أيِّ شيءٍ آخر هو ظَفَر الخلود والحياة. وانتصار الصليب ليس مصدره القيامة، وإنما القيامة تعلِن بشكلٍ ظاهرٍ ما حقَّقه الصليب. لقد تمَّت القيامة بموت أقنوم الله المتجسِّد. وقوة القيامة هي قوة الصليب»[٨].

وهنا نجد أن مقالة الأب فلورفسكي تعكس ما جاء في صلاة القسمة السريانية:

> «واحدٌ هو عمانوئيل إلهنا وغيرُ منقسمٍ من بعد الاتحاد إلى طبيعتين ... وانفصلت نفسه عن جسده ولكن لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده».

ومع أن المصطلحات اللاهوتية التي ظهرت في مقالة الأب فلورفسكي هي من العبارات المعروفة التي صاغها الآباء ضد هرطقة نسطور، إلَّا أن هذه العبارات تُعدُّ تطورًا في لغة الآباء لا في جوهر التعليم العقيدي نفسه، لأننا نلاحظ على الفور أن المعاني التي وردت في مقالة الأب فلورفسكي وفي القسمة السريانية هي بذاتها التي وردت في كتاب تجسُّد الكلمة، حيث يؤكِّد القديس أثناسيوس مثل كل الآباء أن جسد ربنا يسوع المسيح بعد موته على الصليب «لم يرَ فسادًا»، وهي الحقيقة التي عبَّر عنها الرسول

(٨) عن مقالة «حمل الله»، مجلة اللاهوت الاسكتلندية، مجلد ٤ عام ١٩٥١ ص ٢٤-٢٥
The Lamb of God, Scottish Journal of Theology Vol 4, 1951, pp24-25.

بطرس في عباراتٍ قاطعة في العظة المشهورة في سفر الأعمال (أع ٢: ٢٧).

## كيف غلب الربُّ الفساد في جسده الميت الموضوع في القبر؟

الجواب هو بسبب اتحاد اللاهوت الكُلِّي الحياة بهذا الجسد. أمَّا النفس الإنسانية المتَّحدة بلاهوت الله الكلمة، فقد نزلت إلى الجحيم لكي تبشر المأسورين على رجاء خلاص الله. واستطاعت النفس أن تذهب إلى هذا السجن (١بط ٣: ١٩)، لأنها هي بدورها متحدة بلاهوت الابن الكلمة، ولذلك تعذَّر على قوات الجحيم والموت وكل قوى الشر أن تمسك بها، بل استطاع الرب أن يحطِّم أبواب الجحيم وأن يدوس متاريس الهاوية حسب كلمات نشيد عيد القيامة الذي يُرتَّل في كل كنائس الشرق الأرثوذكسية.

القسم الخامس

# أساسات التعليم الشرقي الأرثوذكسي

يقوم التعليم الشرقي الأرثوذكسي على ثلاث دعامات أساسية هي:

**أولا:** الاتحاد الأقنومي.

**ثانيًا:** طبيعة ودور الموت.

**ثالثًا:** علاقة القيامة بالصليب.

وسنتناول كل واحد من هذه الأساسات أو الدعامات بالتفصيل في الفصول التالية.

الفصل الأول

# الاتحاد الأقنومي

حسب تعليم الكنيسة الأرثوذكسية في كل مكان من هذه الدنيا، المسيح له المجد هو الله الكلمة المتجسِّد الواحد بأقنومه، والذي هو من طبيعتين حسب عبارة القديس كيرلس السكندري التي نرتِّلها في الأبصلمودية:

«واحد من اثنين، لاهوت قدوس بغير فساد مساوٍ للآب، وناسوت طاهر .. مساوٍ لنا كالتدبير».

والناسوت ليس له أقنومٌ خاصٌّ به، لأن المسيح له المجد ليس اتحاد أُقنومين؛ أُقنوم إنساني وأُقنوم إلهي، بل هو الأقنوم الواحد الذي أخذ طبيعةً إنسانيةً كاملة الجسد والنفس، وتأقنمت بالاتحاد الكامل بأُقنوم الابن، أي صارت لها الشخصية والإرادة والكيان والأفعال بواسطة الاتحاد الذي تم في أحشاء القديسة مريم والدة الإله. والفرق بين ناسوت المسيح وناسوت أي إنسان إنما هو فرق جوهريٌّ وهام يمكن أن نلخصه في النقاط التالية:

١- الناسوت الخاص بنا يتكون في أحشاء الأمهات ويُولَد وينمو بإرادة مستقلة خاصة به تكوِّنها الأسرة والمجتمع من خلال التعليم والممارسة والشرور والفضائل، ومن خلال ما يكتسبه كلُّ فردٍ على حدة من خبرات. أمَّا ناسوت ربنا يسوع المسيح، وهو ناسوتٌ كاملٌ وحقيقيٌّ، فقد تكوَّن بعمل الروح القدس ووُلِدَ ونما من خلال الاتحاد بأقنوم الكلمة، أي لم تنشأ له إرادة ومعلومات وخبرات غريبة عن الله، وإنما

كل شيء عرفه واختبره إنسانيًا، كان من خلال النور الإلهي الكامل الذي قَبِلَ تواضع وحقارة العبد الإنساني، ولذلك كل خبرات المسيح الإنسانية هي خبرات لا تربطها بالخبرات البشرية التي تتكون في الفكر والعقل والمخيلة والقلب من خلال الجهل وعدم معرفة الإنسان بالله، بل هي عكس ما هو لدينا.

٢- وكل فرد إنساني ينشأ ويتطور في استقلالٍ عن الله وعن الآخرين، وتنمو شخصيته من خلال هذا الاستقلال، أمَّا ربنا فقد قال وهو في سن الثانية عشر لوالدة الإله: «أما تعلمان أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي» (لوقا ٢: ٤٩)، وبذلك أعلن شعوره بأُبوة الآب السماوي، ونما كإنسان في القامة وفي المعرفة وفي الحكمة النابعة من الداخل وليست الآتية إليه من الخارج، لأن حكمة الكلمة هي حكمته التي يأخذها داخليًا من الاتحاد وليس خارجيًا بواسطة تحصيل الحكمة.

٣- وعلى هذا الأساس قاوم كل الآباء تعليم نسطور ثم أوطاخي، واستخدم الآباء في مرحلة مواجهة النساطرة وغيرهم تعبير الناسوت المتأقنم بسبب الاتحاد بلاهوت وأقنوم الكلمة، وصارت عبارة الاتحاد الأُقنومي *Hypostatical Union* من العبارات الأساسية التي تشرح التعليم الخرستولوجي الأرثوذكسي في الشرق والغرب. واحتفظ الشرق بهذا التعليم الذي ضاع في الغرب بعد القرن الخامس، ولذلك السبب بالذات لم يكتب الآباء عن الفداء أو الكفارة أو الفدية أو إرضاء العدل الإلهي أو دفع الثمن أو ما إليه من تعبيرات العصر الوسيط بنفس الأسلوب أو بنفس اللاهوت، لأن عين الإيمان يجب أن تبقى دائمًا مفتوحةً على حقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

وخلاصة تعليم الشرق هي أن أفعال المسيح وكلماته هي إلهية -

إنسانية. فلا يوجد فعلٌ واحد إنساني، وفعلٌ آخر إلهي، لأن هذا هو ذات تعليم نسطور المبني على الانقسام والقول بابنين؛ ابن الله، وآخر هو ابن الإنسان. مِن هنا يظهر لنا أنه رغم أن الأب فلورفسكي ينتمي إلى الكنيسة الروسية الأرثوذكسية[٩]، إلَّا أنه لا يمكن أن يفقد رؤية الاتحاد الأقنومي، ولذلك يضع تحذير الكنيسة الأول الذي يحاول الإقلال من إنسانية المسيح، ثم تحذير الكنيسة الثاني الذي يحاول تكبير التواضع والإخلاء على حساب مجد وقوة ابن الله. والتحذير الأول وقع فيه أوطاخي رغم إدانة هرطقات الغنوسية وبدعة الخيالية (المشبِّهة) التي ترفض حقيقة الناسوت. والتحذير الثاني وقع فيه الغرب الذي جعل موت الرب على الصليب هو موت إنسانٍ، يموت مثل باقي الناس تحت وطأة الدينونة وغضب العدل، وهو بذلك ينسبُ موتَ الرب إلى الناسوت فقط وينكر دون أن يدري أُلوهية المصلوب. كلُّ هذا تمَّ بحسن نيةٍ وعن رغبةٍ في شرح الإيمان بطريقة معقولة يقبلها العقل البشري، وكان هذا في حد ذاته هو الذي أبطل «عثرة الصليب» التي أفاض الرسول بولس في شرحها. لقد طلب اليهود المعجزة والآية، وطلب اليونانيون حكمة الفلسفة، ولكن الرسول بولس لم يستسلم لإغراء القوة الذي يتمسك به اليهود؛ وهو طلب الآية، ولا لإغراء العقل ونظرياته الذي يتمسك به اليونانيون، بل أصرَّ على أن يكرز بالمسيح مصلوبًا «لليهود عثرةً ولليونانيين جهالةً» (١كو ١: ٢٣). وكأن التاريخ يعيد نفسه، لأن ما رفضه الرسول بولس هو ما يجب أن نرفضه نحن، لأن قوة الله هي في قبول الضعف البشري عندما يتجسَّد الابن وأن يحيا في ضعفٍ دون أن يكون ضعيفًا ودون ان يفقد قوته. والمسيح الذي أقام لعازر من الموت بعد أن تحللت جثته،

(٩) كان عميد معهد القديس فلاديمير الروسي الأرثوذكسي في نيويورك، وقبل ذلك كان أستاذ اللاهوت العقيدي في معهد القديس سرجيوس في باريس.

هو الذي بإرادته يجوز الألم والموت لأنه قويٌّ جدًا، إذ يعيش ضعف البشر دون أن يتحول ويتغير إلى ضعيف. وحكمة الله لا تُقاس بنظريات الإنسان، وإذا صار الصليب من الموضوعات السهلة المقبولة عقليًا، فكيف يمكن للصليب أن يتحدى قساوة الإنسان وجهله؟ ماذا بقى للمحبة التي اقتحمت الخطية والموت والجحيم إذا صارت نظرية يمكن للعقل أن يشرحها؟ ولماذا يخلِّص الله الهالكين، ما هي الأسباب المعقولة والفلسفية التي يمكن أن تُقال عن تجسُّد الابن وموته وقيامته؟ بكل يقين لا يوجد سبب. وهكذا عندما وضع الغربُ العدلَ في كفة الميزان والإنسان في الكفة الأخرى، خَلَقَ مشكلةً كبرى لا حلَّ لها بالمرة سوى أن يوضع في كفة الإنسان ما يجعله متوازنًا مع كفة العدل. أمَّا إذا لم يكن هناك ميزانٌ بالمرة، وكان ميزان المحبة حسب كلمات الرسول بولس في ١كو ١٣: ٤-٧ ميزانًا مختلًا تمامًا يضاد كل نظريات العقل وفلسفته، صار من الضروري أن ننظر إلى الخلاص على أنه اتحاد الحياة الأبدية بما هو قابل للموت لكي يدخل الموتُ إلى ناسوت الرب فتبيده الحياة مثل المصارع القوي الذي يصرع خصمه، أو مِثل الملك الذي يطرد الأعداء ويحيط المدينة وقصره بما يليق به من تكريم. هذه هي صورة القوي والقادر وخالق كل الأشياء من العدم وحافظ الخليقة من العودة إلى العدم بقدرته، أي ربنا يسوع المسيح.

وكما أن الكلمة حيٌّ رغم موت جسده، ورغم انفصال النفس عن الجسد، إلَّا أن حياة اللاهوت في الجسد وفي النفس رغم الانفصال بين النفس والجسد، تجعل الاتحاد الأقنومي هو ضمان كل شيء، وهو ذاته الذي يجعل الصليب وحده -بدون القيامة- قوةً وغلبة، لأن القوي قَبِلَ على الصليب أن يقيد الضعيف والعاجز، أي الموت والفساد، ولأن الإله

الذي جاء بكل الكائنات من العدم إلى الوجود يعالج مرض الإنسان بقدرته ويرد إليه النعمة الضائعة، أي الصورة الإلهية. **هنا يصبح الدَّينُ المطَالَب به الجميع، وهو نعمة الحياة حسب صورة الله قد تحقق، ليس لأن الابن دفَعَ شيئًا أو تعويضًا، وإنما لأن الابن ردَّ ما سُلِبَ وأعاد ما ضاع، وهكذا أوفى الدَّين ليس بدفعٍ للآب، وإنما برد الحياة الإنسانية.**

الفصل الثاني

# طبيعة ودور الموت

الموت -حسب كلمات القديس أثناسيوس- هو انحلال الجسد وانفصال النفس عن الجسد، وهو ما يؤكده القديس أثناسيوس باستخدامٍ دائمٍ لكلمة «الفساد».

لا يذكر القديس أثناسيوس شيئًا عن انفصال الإنسان عن الله، وهو تعريف الموت الذي شاع في العصر الوسيط، وخَلَقَ مشكلةً فلسفيةً أمام لاهوتيي العصر الوسيط. والشرق لا يقبل بالمرة فكرة انفصال الإنسان عن الله؛ أولًا لأنها ليست معروفةً في الكتاب المقدس. وثانيًا لأنها في حقيقة الأمر هي تعريفُ الفلسفة الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة لسقوط الإنسان من العالم الروحي الذي انفصل عنه الإنسان، والذي أدَّى إلى معاقبة الإنسان بالسجن في الجسد، وهو قصة السقوط كما تذكرها الفلسفة الأفلاطونية.

ومعلمنا أثناسيوس، الذي درس الفلسفة ودحض أفكارها عن الإنسان والكون والله في كتابه «الرسالة إلى الوثنيين» على وعيٍّ كاملٍ بأن تعريف الموت على أنه انفصالٌ عن الله لا يتفق مع تعليم المسيحية بالخلق من العدم، لأن كل الكائنات باقية في الوجود بسبب نعمة الله وقدرته، وإذا انفصلت عن الله داخليًا وحسب تصرف حرية الإرادة، فهي لا تستطيع أن تنفصل عن الله وجوديًّا، لأن هذا يعني أن الخليقة أو الإنسان يعود إلى العدم في اللحظة التي يتخلى فيها الله عنه. لهذا السبب يقول القديس

بولس عن ربنا يسوع المسيح: «فإنه فيه خُلِقَ الكل»، ويذكر بالتحديد «ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى»، ولا يتوقف عند هذا الحد، بل يؤكِّد أن الابن ليس فقط الخالق الذي "الكلُّ به"، بل والملك الذي يملك الخليقة «وله قد خُلِق»، ويؤكِّد أزلية الابن «الذي هو قبل كلِّ شيء»، ثم يؤكد استمرار الخليقة في البقاء بقوله: «وفيه يقوم الكلُّ» (كولوسي ١: ١٥-١٧). وحتى الخليقة الساقطة وكل الكائنات بما فيها الشيطان قد حفظته نعمة الله من الفناء، لأنه بعد سقوطه ذهب إلى الإنسان وخدعه بمكرٍ وحيلةٍ فاسدة. هذا طبعًا يطرح علينا عدة قضاياها هامة لا نملك أن نناقشها كلها معًا، ولكن هذه القضايا نجد إجابةً عليها في إيجازٍ شديد في كتاب تجسُّد الكلمة:

١- انحلال الإنسان الطبيعي بدون الخطية والسقوط يشير إليه القديس أثناسيوس إشارةً عابرة:

> «حتى إذا احتفظوا بالنعمة وظلوا صالحين، سوف يتمتعون بالحياة في الفردوس، دون حزنٍ أو ألم أو قلق بالإضافة إلى ذلك ينالون وعد عدم الفساد في السماء» (تجسد الكلمة ٣: ٣، المرجع السابق ص ١٤١).

ومن هذه العبارات يظهر لنا حتمية موت الإنسان وانحلال الجسد لكن دون فساد، وهو ما يبدو كما لو كان نوعًا من التغيير في طبيعة الإنسان تقوده إلى حياة سمائية دون حزن أو ألم أو قلق يعبُر فيها الإنسان من الفردوس على الأرض إلى حياة السماء. وطبعًا نحن لا نملك الكلام عن هذا الوضع، لأننا فقدناه ولكن ربما نراه في حالات مجد بعض قديسي الكنيسة الجامعة الذين كانت أجسادهم تلمع بنور القيامة ونور الروح القدس وهم على الأرض، ولما جاءت ساعة نياحة بعضهم مثل الأنبا نوفر السائح اشتعل جسده بنار الروح القدس وتحوَّل إلى رماد. ربما كانت هذه

هي حالة التغيير التي كان سيَمُر بها الإنسان لو أنه اختبر التحوُّل من حياة الفردوس إلى حياة السماء إذا استمر في الشركة مع الله.

والقديس أثناسيوس يؤكِّد أن الفساد والانحلال كان يعجز عن الاقتراب من الإنسان إذا ظلَّ الإنسان في الشركة مع الله واحتفظ بنعمة الصورة الإلهية:

«لأن الإنسان بالطبيعة ميِّتٌ أو فانٍ لأنه خُلِق من العدم، ولكن بسبب صورة الله الكائن يبقى كائنًا إذا ظل يتأمل الله ويكسر فساده الطبيعي»

(تجسد الكلمة ٤: ٦، المرجع السابق ص ١٤٥).

«لأنهم (البشر) -كما قلت سابقًا- فاسدون بالطبيعة ولكن بنعمة اشتراكهم في الكلمة كانوا يستطيعون الهرب من نتائج طبيعتهم (الابتعاد عما يمكن أن تجلبه الطبيعة الآتية من العدم) إذا ظلوا صالحين، لأنه بسبب الكلمة الذي فيهم، حتى فسادهم الطبيعي كان غير قادر على أن يمسهم (سفر الحكمة ٢: ٢٣-٢٤)»

(تجسد الكلمة ٥: ١ - ٢، المرجع السابق ص ١٤٥).

**٢-** ولكن تعدِّي الإنسان جعل الانحلال يأتي:

**أولًا:** بسبب ضعف الطبيعة الإنسانية الفانية، الأمر الذي يجعل للانحلال سيادةً علينا.

**ثانيًا:** بسبب فقدان النعمة، وهذا أيضًا يعطي سيادةً للانحلال علينا.

**ثالثًا:** بسبب تهديد الله الذي قال للإنسان إنه سيموت إن تعدَّى، وهذا ما يجعل الفساد أو الانحلال قوة قاهرة لا يملك الإنسان أن يغلبها أو أن يتعدى نتائجها.

ويؤكِّد القديس أثناسيوس هذا في (الفصول ٣ - ٦)، وبشكلٍ خاص في العبارة التي يقول فيها:

«لهذه الأسباب ساد عليهم الموت بقوة أعظم ووقف الفساد ضدهم في ثبات .. غلبنا الموت بالناموس لأنه كان من الصعب الإفلات من الناموس ..»

(تجسد الكلمة ٦: ١ - ٢، المرجع السابق ص ١٤٧).

٣- وهكذا جعلت الخطيةُ الموتَ ليس مجرد تحوُّلٍ في كيان الإنسان، بل هو انفصال النفس عن الجسد، وسيادة الفساد والموت، لأن الإنسان سيبقى في هذا الوضع إلى الأبد حسب كلمات سفر التكوين «موتًا تموت».

٤- وهذا يعني أن الموت والفساد الطبيعي تحوَّل، وتغيَّرت طبيعة الموت من تحوُّلٍ وترقٍّ من حياة الفردوس إلى حياة السماء، إلى انحلالٍ بسبب الضعف، وانفصالٍ بسبب فقدان الصورة، وسيادةٍ بسبب تهديد الله.

٥- وكان من الواضح أن الإنسان عاجزٌ تمامًا عن إصلاح ما فسد، وعن العودة إلى ما كان عليه.

يمكننا أن نتصور أن الانحلال الطبيعي والانتقال من الحياة الفردوسية إلى الحياة السمائية كان سيتم من خلال الشركة وبإرادة الله، ودون انفصال النفس عن الجسد مع تغييرٍ في الجسد، وهو ذات التغيير الذي رأيناه في ناسوت ربنا يسوع المسيح بعد القيامة من الأموات. لكن كل هذا قد ضاع وتبدد من آدم وحواء وتعذَّر تمامًا إعادته إلى الإنسان، لذلك جاء الكلمة وتجسَّد لكي يعيد الفاسد إلى عدم فساد ويقيم الميت إلى حياة.

## كيف تغيَّرت طبيعة الموت؟

يقدِّم لنا القديس أثناسيوس موضوع الموت والتغيير الذي حدث فيه ابتداءً من فصل ١٣ من كتاب تجسُّد الكلمة، وتكثر الإشارة إلى الموت في الفصول التالية حتى أنه يكاد يظهر كموضوعٍ في كل فصل بعد ذلك.

الموت هو عدو الإنسان الأول والأخير. والموت تحصَّن في فساد الطبيعة وقوة حكم الناموس، لذلك جاء الرب وتجسَّد ومات لكي يغيِّر طبيعة الموت، ويحوِّل الموت من فناءٍ وانحلال إلى قوة تُغيِّر وضع الإنسان. هذا ما حققه المسيح على الصليب بموته:

**أولًا:** قَبِلَ موت الإنسان بحريته وإرادته، أي أنه لم يستسلم للموت مثل باقي البشر وإنما قَبِلَه بحريته.

**ثانيًا:** أباد الموت، وهنا يجب أن يظهر بشكلٍ خاص لماذا يتمسك الآباء والقديس أثناسيوس بعدم انحلال وفساد ناسوت المسيح بعد موته، لأن ناموس وقوة الفساد قد أُبيدت فلم يتعفن جسد المسيح.

**ثالثًا:** أقام المسيح جسده من بين الأموات، وبذلك أسَّس الوعد بالقيامة، أي بعودة الجسد إلى المجد الذي تمجَّد به جسد الرب نفسه بقيامته من بين الأموات.

وقد شرح القديس أثناسيوس هذه النقاط الثلاث بما فيه الكفاية، ولكن ما يهمنا هنا هو أن نعود إلى ما كنّا بصدده، وهو أن موت الرب على الصليب لم يكن موتًا مثل موت باقي البشر، إذ أن الرب غَلَبَ الفساد نفسه، وقهر التحلُّل بعدم تحلُّل جسده. وهنا يظهر لنا أن كلمات الكتاب المقدس في غاية الأهمية إذ يقول الرسول بطرس في يوم العنصرة: «وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت ... إذ لم يكن ممكنًا أن يُمسَك منه» (أع ٢: ٢٣-٢٤). حقًا تعذَّر على الموت أن يسود على الرب لأن موت الصليب حَفِظَ جسد الرب حسب نبوة المزمور الذي يقتبس الرسول بطرس كلماتها بعد ذلك. هذا يؤدِّي بنا إلى أن نرى موت المسيح على الصليب بصورةٍ أخرى، فهو ليس موتًا لوفاءِ دينٍ أو سدادِ حسابٍ أو إرضاءٍ لعدل .. الخ. كل هذا لا يجب

أن يُقال أمام حقيقة موت الرب وبقاء الرب غالبًا للفساد. والسبب الواضح الآن لدى كل قارئ هو أن موت المسيح على الصليب ليس مثل موت المحكوم عليهم بالموت، ولا هو موتُ عقوبةٍ، ولا هو موتُ ضعفٍ، ولا هو موتُ عجزٍ عن البقاء أمام المرض والشيخوخة. ونحن كثيرًا ما نهمل معجزات الرب الذي شفى المرض وردَّ ما هو ناقصٌ في الطبيعة الإنسانية مثل عيني المولود الأعمى، ثم أقام الموتى حتى الذين تحلَّلت أجسادهم.

وبعد كل هذا لا يجوز لنا -بسبب تواضع المسيح ومحبته- أن نراه مثل آدم أو في ذات موقع آدم يُحاكَم على خطايا الناس، ويطلب منه الآب أن يدفع فديةً لكي يُطلِق سراح الإنسان، أو لكي ينقذ الإنسان من غضب الله!

## الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس

عنوان هذه الفقرة مأخوذ من نص سفر الحكمة (٤: ١٨) والذي يقتبسه القديس أثناسيوس في الفصل الخامس من كتاب تجسد الكلمة مؤكِّدًا أن فساد أو انحلال الطبيعة الإنسانية وعودتها إلى العدم كان أمرًا مستحيلًا بسبب الكلمة الذي كان في البشر. أَمَا وقد تأمل الإنسان الشر الذي اخترعه بفكره وبغواية الشيطان، فقد قَبِلَ أن يحيا ويفكر فيما لا وجودَ له، أي الشر، وهكذا دخل الموتُ إلى العالم بحسد إبليس وساد على جنس البشر. ويعرف القارئ القبطي أن هذه الكلمات تظهر في القداس الباسيلي، وهو ما يؤكد ليس فقط أهميتها، بل يحدد اتجاه اللاهوت المسيحي كله. لأننا في حقيقة الأمر أمام اتجاهين لا ثالث لهما.

**الاتجاه الأول:** الذي يعبِّر عنه القديس أثناسيوس مؤكِّدًا أن الله ليس هو مصدر الموت، ولم يُعاقِب الإنسان بالموت، بل هدَّد الإنسان وحذَّره من نتائج التعدِّي والخطية، ولذلك عندما سقط جاء الابن وخلَّصه. يحدد هذا الاتجاه مشكلة الموت كمشكلة إنسانية ليس لله يدٌ فيها ولم يتدخل

فيها بشكلٍ مباشر، وبالتالي صار خلاص الإنسان من الموت هو تطوُّع محبة الله وكرم عنايته بنا.

**الاتجاه الثاني:** وقد تبنَّاه القديس أوغسطينوس واعتبر أن الله عاقَبَ الإنسان وحرمه من نعمة الخلود وحلَّ عليه غضبُ الله، وبالتالي صار الخلاص والموت مشكلة إلهية (تورط) فيها الله نفسه وتدخَّل فيها، وله فيها الدور الأساسي.

**عرضٌ وتحليل للاتجاه الأول:**

إذا كان الموت قد دخل إلى العالم بحسد إبليس، صار من الواضح أن نترك الاتجاه الثاني على الأقل في الوقت الحاضر، لأن نص سفر الحكمة وكتاب تجسُّد الكلمة لا ينسب الموت لله، وإنما "لحسد الشيطان". والفرق بين الموت الذي دخل بحسد إبليس، والموت الذي جاء بغضب الله ومعاقبته للإنسان هو فرقٌ ضخمٌ وكبيرٌ جدًا يؤثِّر تمامًا على فهمنا لحقيقة موت المسيح على الصليب على النحو التالي:

١- أحد أسباب الموت هو حسد الشيطان، والسبب الثاني هو عصيان الإنسان. وهكذا لا نستطيع أن نضع الله كطرفٍ ثالثٍ، لأنه حذَّر من الخطية، وهو لم يقل أنا سوف أميتك، وإنما «موتًا تموت»، فالله لم يخلق الموت، وإنما خَلَقَ الحياة، وما الموت إلَّا رفضٌ للحياة كنعمةٍ إلهيةٍ، وهو رفضٌ لا يسمح لنا بأن نقول إن الله هو طرفٌ ثالث، لأن رفض الإنسان لنعمة الصورة هو رفضٌ للحياة حسب الله، فإذا كان الله هو خالق الموت، فَقَدَ الموتُ علاقته بالخطية والتعدي، وصار موت الإنسان هو قبول أحد جوانب الحياة التي خلقها الله نفسه! هذه نقطة على قدر كبير من الأهمية لأنها تشرح لنا سِرَّ تجسُّد الابن وموته، فهو قد جاء لكي يجدِّد ما أفسده الإنسان ويرد الحياة إلى

الإنسان، وبالتالي علينا أن نسأل لماذا يُبطِل الموتَ وقد خلقه، ولماذا يُبيده وهو جزءٌ من نظام الكون الذي أسَّسه الله الكلمة نفسه؟ أيُّ محبةٍ تلك التي تحفر حفرةَ الموت أمام الإنسان، ثم تصارع لكي تُنقذ الإنسان من حفرةٍ خلقها الله نفسه؟ الله يخلق الموت ثم يعاقب الإنسان به وبعد ذلك يخلصه!!!

٢- وكيف يجوز لنا أن نتكلم عن آلام الرب؛ كيف تألم من الموت وهو خالقه وكيف احتمل ما وَضَعَه هو بنفسه في الخليقة؟ ولكن الصواب هو أن الرب تألم من الموت لأن الموت هو ما جلبه الإنسان على نفسه بمشورة الشيطان وحسده. وآلام الرب لا تجوز بالمرة لمن خلق الموت.

٣- وما هو أهم من كل هذا وذاك؛ هو أنه لا يمكننا أن نقول إن الآب طلب موت ابنه على الصليب، إذا كان الموت قد دخل بحسد الشيطان، فهو قد أُبيد بمحبة الله، ولم يقدِّم الآب ابنه للموت لكي يرضي الشيطان الذي تسبَّب في موت الإنسان، وهو الآن يشترك مع الآب في موت الابن الوحيد. إنَّ كل حروف وكلمات الكتاب المقدس تصرخ ضد هذا التجديف الشنيع الذي سقط فيه حكماء وعلماء دون فهمٍ وبحُسن نية. وتأمَّل أيها القارئ في هدوء وبلا انفعال؛ هل أرسل الآب ابنه إلى العالم لكي يصب عليه هو (الآب) الموت والفساد؟ أليس هذا اشتراكٌ للآب مع الشيطان، وهو تجديفٌ لا يجوز؟ ولكي نوضِّح هذا الأمر علينا أن نتوقف لكي نسأل أنفسنا؛ إذا كان الموت قد دخل بحسد الشيطان، فلا يمكن له أن يكون عقوبةً إلهيةً، لأن هذا يؤلِّه الشيطان ويجعله مُنفِّذًا لإرادة الله، ويحرم الله من إبطال حَسَدَه، لأن الله لا يخلص الله من أعماله وأفعاله.

٤- ويبقى سؤالٌ هام؛ لماذا مات الرب على الصليب؟ والجواب ليس لكي يلاشي غضب الآب أو يُرضي العدل الإلهي، وإنما لكي ينقض أعمال

الشيطان، وهو ما يؤكِّده القديس يوحنا الرسول بقوله: «مَن يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ، لأجل هذا أُظهِر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١ يو ٣: ٨)، أو حسب كلمات الرسول بولس: «لكي يُبيد بالموت ذاك **الذي له سلطان الموت أي إبليس** ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا تحت العبودية» (عب ٢: ١٤). وهنا يظهر لنا أن موت الرب لم يكن خضوعًا لحسد الشيطان ومشورته، ولا قبولًا لأعمال الشيطان، بل إبادة تامة للموت. ولاحظ أيها القارئ أن الشيطان الذي له سلطان الموت قد فَقَدَ هذا السلطان تمامًا وانتُزِعَ هذا السلطان منه بواسطة الرب الذي وَضَعَ نهايةً لسيادته على الإنسان. ونحن نرى انهيار هذه السيادة في طقس «جحد الشيطان» في المعمودية المقدسة الذي هو «سر موتنا وقيامتنا مع المسيح». وهكذا قَبِلَ الربُّ الموتَ من إبليس لكي يُبيد الموت. وهنا يجب أن نتذكر الكلمات الهامة للرب نفسه: «لهذا يُحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضًا. ليس أحدٌ يأخذها مني بل أنا أضعها من ذاتي، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضًا. هذه الوصية قبلتها من أبي» (يوحنا ١٠: ١٧ - ١٨). ولذلك، عندما جاءت ساعة الصليب يقول نفس الإنجيل: «فخرج يسوع وهو عالمٌ بكل ما يأتي عليه» (يوحنا ١٨: ٤). وبهذه الكلمات الإلهية يظهر لنا أن الربَّ يموتُ بسلطانه ويقوم بسلطانه لكي يُفقِد الشيطان سلطانه. وهكذا وإن كان الشيطان قد تحالَف مع آدم ثم تحالف مع اليهود لقتل الرب، فإننا بكل يقين لا نجد الآبَ في هذا التحالف مطلقًا، بل نجد «محبة الآب» التي يقول ربنا نفسه عنها: «لهذا يحبني الآب»، فهو لم يقدِّم ابنه بغضبٍ وبانتقامٍ من الخطاة ومن الخطية، بل يقدِّم ابنه بمحبةٍ لكي يُبطِل عمل الشيطان، ويقول الرسول بولس إن مشورة

الثالوث الأزلية كانت تُرتِّب لهذا وإن الله الثالوث «خلَّصنا ودعانا دعوةً مقدسةً لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية (قبل خلق العالم) وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» (٢تيمو ١: ٩ - ١٠). وهنا؛ النعمة والنور والخلود هي أعمال الله في مواجهة الحسد والبغضة والانتقام.

لقد وَصَفَ الربُّ الشيطانَ بأنه «قاتلٌ» (يو ٨: ٤٤) ويصف الكتاب المقدس الشيطان بأنه «المهلك» و«المشتكي» (٢صموئيل ٢٤: ١٦ – رؤ ١٢: ١٠)، وهذه الأوصاف لا تنطبق على مقاصد الله ولا على طبيعته، وحتى إن عاقَب البشر، فإن الآباء استخدموا كلمة «تأديب» لأن الله ليس «المهلك» ولا هو «قاتل» ولا يجرب بالشرور (يعقوب ١: ١٣). وهكذا أباد الرب عمل الشيطان بموته، وبقوته أهلك الذي كان يملك سيادةً علينا، لأن محبته جعلته يُبطِل عمل الشيطان لا أن يتحالف معه ويتصرَّف مثله ويتبنَّى مقاصده.

الفصل الثالث

# علاقة القيامة بالصليب

القيامة مثل الصليب مثل تجسُّد الابن وتأنُّسِه، ليس نتيجةً لحدثٍ سَبَق، أو بعبارةٍ أخرى؛ لم يكن تجسُّد الرب نتيجةً لسقوط الإنسان، بل كان مصدره محبة الله، ولم يكن الصليب نتيجةً لتجسُّد الابن، وإنما كان صراعُ الحياةِ مع الموت وفساد الإنسان. وعلى هذا النحو يلزمنا أن نرى أن انتصار الرب على الموت والفساد تمَّ في الصليب وعلى الصليب، وأن القيامة هي عطية الخلود للإنسان.

لم يفقد الابن المتجسِّد الحياة وهو مصلوب، وهنا يقول القديس أثناسيوس:

> «وكما أنه في كل الخليقة إلَّا أنه بجوهره هو خارج الكون (يعلو على الطبائع المخلوقة)، ولكنه في كل شيء **بقوته يرتِّب** كل الأشياء **ويشمل** بعنايته كل الأشياء **ويعطي** الحياة لكل الأشياء، كل شيء على حدة، وكل الأشياء مجتمعة، هو يحتوي الكون والكون لا يحتويه، ولكنه في أبيه يكمِّل كل الأشياء. وهكذا لأنه كان في جسد إنساني كان يعطي هذا الجسد الحياة، لأنه يعطي الحياة لكل شيء وكان في كل الأشياء وخارج كل الأشياء...
>
> وما هو أعجب من كل شيء، أنه هو نفسه عاش كإنسان وكان الكلمة التي يعطي الحياة لكل شيء مثل ابن مع أبيه. ولذلك لم يتغيَّر عندما ولدته العذراء ولم يتدنَّس عندما كان في الجسد، وإنما بالحري **قدَّس** الجسد.

وعندما كان في الأشياء فهو لم يشترك في الأشياء (لم يأخذ منها أي شيء) وإنما بالحري كلُّ الأشياء تحيا وتبقى بواسطته ... وكلمة اللّه الكلي القداسة خالق وربُّ الشمس عندما عُرِفَ (ظَهَرَ أو تجسَّد) في الجسد لم يتدنس وإنما لأنه عديم الفساد، أحيا وطهَّر الجسد الميت»

(تجسد الكلمة ١٧، المرجع السابق، ص ١٧٥ - ١٧٧).

**فهل يحتاج هذا الكلام إلى تعليق؟**

يقول أثناسيوس أيضًا:

«ومَن ذا الذي يشكُّ فيه وهو يرى قوته وسلطانه على الشياطين وهم يعترفون أنه ربُّهم، ويساوره الشكُّ في أنه الابن والحكمة وقوة اللّه ... والعجيب أنه حتى **في موته أو بالحري انتصاره على الموت، وأنا أعني الصليب** even at his death or rather at the victory over death, I mean the Cross اعترفت كل الخليقة بأن من ظهر وتألم في الجسد لم يكن مجرد إنسان، بل ابن اللّه ومخلِّص الجميع»

(تجسد الكلمة ١٩: ٢ - ٣ المرجع السابق، ص ١٨١).

وليست هذه زلةُ قلمٍ أو شطحةُ فكرٍ، وإنما أثناسيوس نفسه يقول بعد ذلك معبِّرًا عن وعيه التام بما سوف يشرحه:

«ويلي ذلك مسئوليتنا أن نصف نهاية حياته وأعماله في الجسد، وكيف مات جسده، لسببٍ خاص، أن هذه نقطة رئيسية في إيماننا، والكل يتحدث عنها»

(تجسد الكلمة ١٩: ٤، المرجع السابق، ص ١٨١).

وقد حقق أثناسيوس وعده وسجَّل لنا هذه الحقائق التي نأخذها عنه هو:

١- «لم يكن أحد يستطيع أن يأتي بالفاسد إلى عدم الفساد إلَّا المخلص نفسه الذي في البدء خلق الكون من العدم. ولم يكن أحدٌ قادرًا على أن يعيد خلق البشر في صورة اللّه سوى صورة الآب، ولم يكن أحدٌ يستطيع أن يقيم الميت إلى الخلود سوى ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة»

(تجسد الكلمة ٢٠: ١، المرجع السابق ص ١٨٣).

٢- «وهكذا الجسد ... ميت ... ولكن بمجيء (حلول) الكلمة فيه لم يَعُد فاسدًا حسب طبيعته، وإنما بسبب حلول الكلمة فيه صار لنا مناعةً become immune ضد الفساد»

(تجسد الكلمة ٢٠: ٤، المرجع السابق، ص ١٨٥).

٣- «لم يكن الرب ضعيفًا ولكنه هو قوة اللّه وكلمة اللّه والحياة نفسها ... ولأنه الحياة وكلمة اللّه ولأن الموت عوضًا عن الجميع كان لا بُد وأن يحدث، لذلك ولأنه الحياة والقوة أعطى جسده قوةً، ولأن الموت كان يجب أن يحدث، اتَّخذ المناسبة التي قدَّمها له الآخرون لكي يكمِّل الذبيحة. لأنه كان لا يليق أن يموت الربُّ بالمرض وهو الذي شفى أمراض الآخرين، وكان أيضًا لا يليق أن جسده يضعف بينما هو قوة الآخرين. فلماذا لم يوقِف (يمنع) الموت كما فعل مع المرض؟ لأنه لهذا أخذ جسدًا وكان لا يجوز أن يتجنب الموت حتى لا تُمنع القيامة ... لقد مات فديةً عن كثيرين إلَّا أنه «لم يرَ فسادًا» (أعمال ٢: ٣١ - ١٣: ٣٥)، ولذلك قام سليمًا لأن جسده لم يكن مِلكًا لآخر سوى لمن هو الحياة ذاتها» (تجسد الكلمة ٢١: ٤ - ٧، المرجع السابق، ص ١٨٧ - ١٨٩).

**لقد كان الصليب انتصارًا على فساد وانحلال الجسد.**

٤- «ولم يكن من اللائق ان كلمة الله الذي هو الحياة يقدم هو الموت لجسده» (تجسد الكلمة ٢٢: ١، المرجع السابق، ص ١٨٩).

وسببُ ذلك أيها القارئ أن الموت غريبٌ تمامًا على طبيعة وقدرة الله الكلمة الذي لا يموت. وماذا فعل الكلمة المتجسد؟ يكمل القديس أثناسيوس كلامه:

«... ولكنه برهن على أنه المخلِّص والحياة، لأنه انتظر الموت لكي يُبيده، وأسرع لكي يكمِّل خلاص الكل بالموت الذي فُرِضَ عليه. ولكن من ناحية أخرى **لم يكن هذا الموت موته هو**، وإنما موتُ البشر الذي كان على المخلص أن يكمله» (تجسد الكلمة ٢٢: ٢ - ٣، المرجع السابق، ص ١٨٩).

٥- «كان الصليب هو علامة الانتصار على الفساد وبالتالي هو الذي أظهر أن القيامة ممكنة لأن الرب «محا الفساد من الأجساد» (تجسد الكلمة ٢٢: ٤، المرجع السابق، ص ١٨٩).

وإن شئنا أن نقول وأن نترجم فكر القديس أثناسيوس، كان الصليب علامة انتصار لأنه كشف عن طبيعة اتحاد الكلمة بالجسد، ذلك الاتحاد الذي أباد فيه الكلمةُ الفساد.

ومع أن معلمنا أثناسيوس يقول في الفصل ٢٣ ما يلي:

٦- «وكان من الضروري للموت أن يسبق القيامة لأن القيامة لا يمكن أن تحدث إلا إذا حدث الموت أولًا» (تجسد الكلمة ٢٣: ١، المرجع السابق، ص ١٩١).

إلَّا أن القديس أثناسيوس ليس بروتستانتيًا يعتبر القيامة نتيجةً للموت، الموت هو الحدث الأول والقيامة هي الحدث الثاني. ولكن ما يجب أن نراه هنا من سياق كلمات وشرح أثناسيوس نفسه هو أن الصليب والموت كشفا عن قوة الرب. وها هي كلماته نفسها تقول:

> «لماذا طرد الأرواح النجسة أمام كل الناس وفتَّح عيني المولود أعمى وغيَّر الماء خمرًا؟ لكي من خلال هذه (المعجزات) يؤمن به الناس أنه هو كلمة الله، ألَا لكي يُظهر أن جسده الميت أمام الكل (البشر) هو عديم الفساد، لكي يؤمن الكل بأنه هو الحياة؟ ... وكيف يمكن البرهنة (الإعلان) عن أن نهاية الموت هو انتصارٌ عليه إلَّا إذا مات أمام عيون الكل وبرهن على أنه مات فعلًا، ولكنه أفرغ الموت من قوته بعدم فساد جسده؟» (تجسد الكلمة ٢٣: ٢ - ٥، المرجع السابق، ص ١٩١ وما بعدها).

ومن هنا يتقدم القديس أثناسيوس خطوةً أخرى مؤكِّدًا أن عدم فساد الجسد الذي صُلب على الصليب، صار أيضًا عدم تألم الجسد (فصل ٢٦: ١٩٧) وصار بشكلٍ خاص تألُّه الجسد أو خلود الجسد، وهنا يتَّحد الصليب بالقيامة، ويتحول توالي الأحداث إلى انسيابٍ تامٍ لحياة الكلمة المتجسِّد الذي أخذ الطبيعة الفانية الميتة وردَّها إلى عدم الفساد وعدم الموت، لأنه قَبِلَ الموت في جسده وأباده، وأبقى جسده بلا فساد، وفي اليوم الثالث قام من الموت معلنًا عدم التألُّم واشتراك الجسد في خلود الكلمة وهو التألُّه.

القسم السادس

# أثناسيوس الرسولي وتعليم الغرب عن الفدية

**تمهيد**

**أولًا:** حسب نصوص الشريعة، كان المخطئ والمذنب هو الذي يدفع تعويضًا أو فديةً لمن وقع عليه الاعتداء أو الضرر. وبالتالي لم يكن الله هو المذنب أو المخطئ حتى يدفع فديةً للإنسان، وإنما العكس هو الصحيح، وبالتالي يخرج معنى الفدية من الشق القانوني إلى الشق المجازي والروحي.

**ثانيًا:** حتى إذا قلنا إن الإنسان عجز عن دفع الفدية، فتنازل الابن وقام بالدفع. هذا في حد ذاته يتعارض مع بنود كل القوانين المعروفة، ويخرج بقضية الفدية من القانون إلى الجانب الروحي، لأن القانون لا يطلب مِن الذي وقع عليه الضرر أن يتطوع بالدفع أو يُظهِر السخاء والكرم، لأن السخاء والكرم والرحمة لا تدخل في حساب القوانين.

**ثالثًا:** وإذا قلنا إن الله تنازل بسبب ضعف الإنسان وعجزه، وقام هو بالدفع، وجب أن نقول إن تنازله سيكون أعظم إذا تنازَل عن الدفع نفسه، وترك ما للإنسان، عملًا بما جاء في مَثَل الرب يسوع نفسه في إنجيل (متى ١٨: ٢٣ - ٢٧)، وحسب نص الصلاة الربانية نفسه: "اترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن له علينا" (متى ٦: ١٢).

**رابعًا:** مَن هو المستفيد من دفع الثمن أو الفدية؟ الله أم الإنسان؟ إذا قلنا الله فكأننا نقول بكل صراحة إن الله احتاج إلى شيءٍ ما يدفعه هو لنفسه لكي يُرضي نفسه! وما هو هذا الشيء؟ هو الموت الذي تمَّ في

جسد ابنه، الجسد الذي أخذه الابن الوحيد من العذراء مريم، أي من الخليقة، وبالتالي احتاج الله إلى ما يُرضي عدله ويُهدِّئ غضبه، وهو موت جسد ابنه لكي يتحقق العدل، ويتوقف الغضب الإلهي ويعود إلى صلاحه ورحمته ومحبته للبشر. صار الله في حاجةٍ إلى شيءٍ يأتيه من الخارج؛ إلى جسد ودم ابنه، وهو مهما كانت قيمته الروحية ما زال فيه العنصر الإنساني المخلوق، وصارت محبة الله وصلاحه في حاجة إلى هذا العنصر حتى تعمل! هذا التعليم يجعل الله في حاجة، يفتقر إلى شيء ويحتاج إلى علاجٍ لمشكلة الغضب، ويُخضِع الله إلى مؤثرات خارجية.

وماذا نقول، ألا يملك الآبُ الابنَ كما يملك الابنُ الآب؟ أليست لأقانيم الثالوث حياة واحدة وإرادة واحدة وعمل واحد يعبِّر حقًا عن «وحدانية» الله؟ فكيف احتاج الآب إلى ما يملكه، وكيف أخذ ما هو له، وكيف حصل على ما يهدئ غضبه، وهو ما هو فيه في ذات الحياة الواحدة؟ لأن الآب في الابن والابن في الآب، وعندما تجسَّد الابن كان الجسد الإنساني في الآب «الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبَّر» (يوحنا ١: ١٨)، وحسب تعبير صلاة كنيستنا: «الكائن في حضنه الأبوي كل حين» (صلاة القسمة لصوم الميلاد). ألم يكن الابن في حضن الآب وهو متجسِّد؟ ألم يكن في حضن الآب وهو على الصليب يموت عنّا؟ أم أن التجسُّد والصلب قد جعله بعيدًا أو خارجًا عن «حضن الآب»؟ فاذا كان الابن المتجسِّد في أبيه لأنه أدخل هذا الجسد البشري إلى صميم علاقته بالآب، فكيف حصل الآب على ثمنٍ هو يملكه، وكيف دفع الابن للآب ما هو ملكه وما قد دبَّره وقرره مع الابن أزليًا قبل خلق العالم؟

ولو قلنا إن الإنسان هو المستفيد، فهذا قولٌ غريبٌ حقًا، لأن الفدية دُفِعَت للآب وهدَّأت غضب الآب، وبالتالي لم يكن الإنسان هو المستفيد

بالمرة، وإنما فقط شاهد كيف حلَّ الله مشكلة الخطية والشر على مستوى إلهي، وهو مستوى العلاقة بين الأقانيم. دفع الابن الدم أو الثمن للآب، وانتهى الخلاص عند ذلك.

**خامسًا:** واذا قلنا إن الثمن هو دمُ الابن الوحيد. فلماذا نحصل على هذا الدم في سر الشكر، وهو الثمن الذي لا يخص الإنسانية، ولا هو من حق الكنيسة؟ لقد دُفِعَ للآب، ولا يجب أن نراه على المذبح في الكأس، ولا نملك في هذه الحالة أن نرفع صعيدةً أو نقدم قربانًا. ما يخص الله الآب وحده لا يمكن أن يُعطى للإنسانية. وما هو أصلًا ثمنًا مدفوعًا للآب لا يمكن أن يتحول إلى عطيةٍ وهبة. فكيف يمكن مصالحة هذه الفكرة مع الإفخارستيا؟ إذا قيل إن الإفخارستيا هي فداء الخطايا بعد المعمودية، فهذا قولٌ سخيف وتجديفٌ مريع على دم الابن الوحيد، ومع هذا يلزمنا الرد عليه، لأن الإفخارستيا وهي دم وجسد ربنا يسوع إن اعتبرناها فداءَ الخطايا بعد المعمودية، فهي الفداء والفدية التي تُدفَع للآب، ولا يجب أن تُدفَع إلينا، لأن الفدية لا تخص الإنسان حسب ادعاء هؤلاء.

**سادسًا:** وإذا قال هؤلاء إن الله لما رأى عجز الإنسان، دَفَعَ هو الثمن! قلنا عجبًا لهذا العدل الغريب الذي يعاقِب الإنسان أولًا ثم يجد أن العقوبة لا تُفيد فيعاقِب نفسه! ويصبُّ غضبه على الإنسان أولًا ثم بعد ذلك على الابن الوحيد. يعاقِب مرتين وينال التشفي مرتين؛ مرةً عندما يعاقِب الإنسان ومرةً ثانية عندما يعاقِب الابن بدلًا عنه.

**سابعًا:** ألا يؤدِّي القول بدفع الثمن وترضية العدل بموت الابن الوحيد ودفع الفدية إلى القول بأن الله نفسه لا يعرف المغفرة ولا يمارسها، لأنه يطلب حقوقه كاملة، وهو في نفس الوقت يقول لنا أن نسير الميل الثاني وأن نترك ما لنا عند الناس وأن نغفر الزلات والإساءات «إن لم تغفروا

للناس زلاتهم لا يغفر أبوكم السماوي زلاتكم» (متى ٦: ١٥)؟ ويا ليت هؤلاء يتأملون خطورة ما يقولون، لأنهم جعلوا الإنسان قادرًا على المغفرة، بينما الله نفسه غير قادر على المغفرة، وصار الإنسان أعظم وأسمى من الله، وهو تجديفٌ مريع. يقول ربنا يسوع المسيح إن الآب السماوي الكامل يشرق على الأبرار والأشرار، ويحب الأشرار والصالحين، وأننا نحن الذي نتشبَّه به وليس هو الذي يتشبَّه بنا، فكيف يجوز لنا أن نتشبَّه بمن لا يعرف المغفرة، ولا يغفر إلَّا بترضيةٍ ولا يتنازل إلَّا بثمن؟

**ثامنًا:** إذا قيل إن الله أرضى عدله لأن الإنسان عاجزٌ عن تقديم الترضية، فجاء الابن وقدَّم الترضية، فهذا القول يتضمن خطأين؛ كلٌّ منهما أكثر بشاعة من الآخر:

**فالخطأ الأول** هو أن الله طلب المستحيل من الإنسان، وهو طلبٌ يتنافى مع أبسط قواعد العدل، لأن العدل لا يطلب المستحيل، لأن المستحيل هو تطرُّفٌ لا يتناسب مع طبيعة العدل نفسه. وطلب المستحيل من الإنسان هو تجديفٌ على العدل الإلهي نفسه.

**والخطأ الثاني** هو أن الابن الذي قدَّم الترضية، إنما في حقيقة الأمر، قدَّم لاهوته، لأن الثمن غير المحدود الذي يتحدث عنه هؤلاء لا يمكن أن يكون ناسوت الابن ودمه، وإنما لاهوته، وبالتالي نقع في تجديفٍ آخر على العدل الإلهي نفسه، لأن الإنسان أخطأ وأهان الله كما يدَّعي هؤلاء، وتُصبح الفديةُ إلهيةً! الخطية إنسانية والثمن إلهي غير محدود؟

وإذا ادَّعى هؤلاء بأن الناسوت والدم قد اكتسبا صفة عدم المحدودية بسبب الاتحاد بلاهوت الابن، وقع هؤلاء في بدعة أوطاخي، لأن الناسوت هنا لا يكون ناسوتًا، بل لاهوتًا، لأن الناسوت في هذه الحالة

يكون قد فَقَدَ طبيعته الإنسانية وذاب مثل قطرة عسل في محيط من الماء كما قال أوطاخي.

**تاسعًا:** إذا ادَّعى هؤلاء بأن الله الآب طلب الترضية وحدَّد الثمن، وهو لاهوت الابن المتجسد، وجب على هؤلاء أن يؤيدوا أقوالهم من الكتاب المقدس والآباء وصلوات الكنيسة الجامعة، لا سيما القداسات، ولكن حيث أن هذه الآراء لا تظهر في صلوات الكنيسة، وَجَبَ علينا أن نسأل هؤلاء؛ متى حدَّد الآب الفدية، هل قبل سقوط الإنسان أم بعد سقوط الإنسان؟ فإن قالوا قبل سقوط الإنسان ظهر لنا بوضوح أنها لم تحدد حسب الناموس، لأن الناموس دخل بعد الخطية، وإن قالوا بعد سقوط الإنسان وَجَبَ أن تكون في الناموس لأن الناموس الذي دخل لكي يكشف طبيعة الخطية لم يطلب فديةً[١٠].

(١٠) كان هذا هو آخر ما وجدناه من أوراق تحتوى على هذه الدراسة، غير أننا نعتقد أن ما أصدره الدكتور جورج من دراسات سابقة، فيه الكفاية للإلمام بكافة عناصر الموضوع.